جامعة عمار ثليجـــي – الأغواط –
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
قسم التاريخ

الأوضاع الداخلية والخارجية للجزائر عند نهاية الحكم العثماني وبداية الإحتلال الفرنسي
(1800 – 1830 م)

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر
تخصص:تاريخ المغرب الحديث والمعاصر

من إعداد الطالبين :
– محمد النوعي – نور الدين عطية
– حسين حجاج

تحت إشراف الأستاذ:
–بن سعيدان محمد

2016–2017م

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

تشكرات

﴿ ولئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ سورة إبراهيم ، الآية (07) .

اللهم لك الحمد حمدا كثيرا ، طيبا مباركا فيه ، ولك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ، وعظيم سلطانك ، ولك يا رب على ما أنعمت علينا من قوة وصبر في إنهاء هذا العمل .

ثم نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف :"بن سعيدان محمد" ، الذي سهل لنا الطريق ، ولم يبخل علينا بنصائحه القيمة ، فوجهنا حين الأخطاء ، وشجعنا حين الصواب ، فكان بذلك نعم المشرف ، شكر و شكر .

إهداء

إلى من احترقت لتنير لي درب العلم إلى القلب الكبير الذي احتواني بكل صدق إلى جوهرة حياتي أمي الغالية أمينة ميهوبي ،إلى من علمني أن الطموح أساس النجاح إلى رمز العزة والشموخ والكبرياء إلى روح أبي الطاهرة والدي العزيز عطية الحاج رحمه الله إلى إخوتي الأعزاء محمد ،أسامة ،أيمن ،عطا الله ،رضوان ،إلى شقيقتي العزيزتين الغاليتين هاجر ومنار الإيمان . إلى زوجتي الكريمة أم كلثوم مسيكة التي لاطالما كانت تقدم لي يد العون والنصيحة باركها الله . إلى قرة عيني انس عبد الباري ء وأمينة ملك سندس أطال الله في عمرهما وحفظهما بعينه التي لا تنام إلى أصدقائي الأعزاء . . محمد النوعي وحسين حجاج وشهير مكي ،صلاح مايدي ،بوزيد قسميه،وليد بوعزارة

إهداء

إلى من احترقت لتنير لي درب العلم إلى القلب الكبير الذي احتواني بكل صدق إلى جوهرة حياتي أمي الغالية خضرة ،إلى من علمني أن الطموح أساس النجاح إلى رمز العزة والشموخ والكبرياء إلى أبي العزيز الأزهاري إلى إخوتي الأعزاء محمد ،شعيب ،ياسين، ،إلى شقيقتي العزيزتين الغاليتين فاطمة وخديجة . إلى أصدقائي الأعزاء محمد النوعي ونور الديـــن أصدقائي ف العمل . .

إهداء

قال تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلاّ إياه وبالوالدين إحسانا » (23) الإسراء .

إلى أعظم نعمة من الله بعد الإيمان ، إلى من قال فيها الخالق بأن لا جنة لعبدي بغير رضاها ، وإلى التي علمتني أن الحياة كفاح، إلى التي وهبتني عمرها وفضلتني على نفسها وضحت بسعادتها وسهرت الليالي من أجلي ، إلى منبع الحنان ، إلى التي كان دعاؤها في الليل و النهار عونا لي في سيرتي الطويلة ، إليك يا عزيزتي و قرة عيني ، إلى أمي ثم أمي ثم أمي . . . إلى الذي زودني بالمبادئ السامية و الأخلاق الحميدة ، إلى من امتطى صعاب الحياة وذللها لي ليراني مسلحا بخير تسليح ، إلى الشمعة التي تحترق لتضيء لي درب الحياة ، إلى الذي أنار لي طريق الحياة ، إلى الذي علمني كيف أكون ، إلى الذي علمني أسرار مدرسة الرجال ، وشيئا من مدرسة الحياة ، إليك أبي رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه ثم إلى كل العائلة الكريمة . . علي ولخضر وأخي الصغير مسعود الى جميع إخوتي البنات دون إستثناء . دون أن ننسى الأساتذة الكرام الذين بفضلهم وصلت الى هذه المرحلة . . والى جميع الأصدقاء

مقدمـــــة

مقدمة

ظلت الجزائر ولأكثر من ثلاث قرون قوة بحرية تسيطر على غرب البحر المتوسط وعلى أجزاء مختلفة من شواطئ المحيط الأطلسي فكانت الجزائر مرهوبة الجانب ساعدها على ذلك امتلكها لأسطول بحري ضخم وقوة بحرية ذات بأس شديد وذلك باعتراف العدو قبل الصديق،مما جعل العديد من الدول الأوربية تسعى لنيل رضا الجزائر مثل فرنسا وإسبانيا وهولندا والولايات المتحدة الأمريكية فكانت هذه الدول تقدم فروض الولاء و الطاعة من هدايا وضرائب وإتاوات مقابل توقيع معاهدة أو مقابل تامين الحماية لسفنها عند عبورها المتوسط ،إلا أن هذه القوة بدأت تتراجع وتنحصر أواخر القرن الثامن عشرا لميلادي لصالح الدول الأوربية ، والتي عرفت في الفترة نفسها انتعاشا في مختلف مجالات الحياة خاصة العسكرية ،لينتهي في الأخير باحتلال الجزائر ذلك خلال العقد الثالث من القرن التاسع عشر الميلادي من قبل فرنسا وتكمن أهمية بحثنا في انه يدرس مرحلة هامة من تاريخ الجزائر الحديث فهو يشكل مرحلة وسطية بين نهاية مرحلة تاريخية وبداية مرحلة أخري تختلف كل الاختلاف عن سابقتها ،كما أن طبيعة الواجد العثماني في الجزائر قدا ثرت الكثير من الجدل مما يتطلب الفصل فيها بشكل لا يدع مجالا للشك، ولا يمكن لدارس لتاريخ الجزائري الحديث والمعاصر أن يفهم الكثير من الأمور دون فهم ورصد لأهم أحداث هذه الحقبة الزمنية الحساسة وذلك لا استقاء العبر والعضات من تاريخنا المجيد. وقد قادنا هذا إلى طرح جملة من الإشكاليات وهي:ما هي حقيقة التواجد العثماني في الجزائر؟ ما هي الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية و العسكرية ؟ وما هي الأسباب الخارجية التي أدت إلى تراجع القوة البحرية الجزائرية ؟ لماذا سعت فرنسا لاحتلال الجزائر ؟ وكيف نجحت في ذلك؟ وما هي نتائج احتلال فرنس للجزائر؟ واتبعنا في بحثنا هذا على المنهج التاريخي الذي يتلاءم وطبيعة الموضوع والمنهج التحليلي وذالك في تحليل الوقائع التاريخية واستخلاص النتائج التي يمكن الوصول إليها .

وهذا وفقا للخطة التالية :

مقدمة وفصل تمهيد تناولنا فيه لمحة تاريخية عن الوجود العثماني في الجزائر،أما الفصل الأول فقد تناولنا فيه أوضاع الجزائر السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية والعسكرية في الفترة الممتدة مابين(1800-1830م)، متطرقين إلى أهم الثورات الداخلية ضد الحكم التركي ودور اليهود في إضعاف الاقتصاد الجزائري ،وأوضاع الجزائر الاجتماعية وأسباب ضعف الأسطول الجزائري

أما الفصل الثاني فقد سلطنا الضوء على التحرشات الأجنبية بالجزائر من خلال الحملة الإنجليزية وحملة الولايات المتحدة الأمريكية والحملة الإنجليزية الهولندية متعرضين إلى مؤتمر فينا و مؤتمر اكس لاشابيل وقضية القرصنة والعبيد.

أما الفصل الثالث فقد تطرقنا فيه إلى الحملة الفرنسية على الجزائر دوافعها ومسارها وأهم نتائجها و الخاتمة تضمنت النتائج التي توصلنا إليها من خلال بحثنا هذا.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على جملة من المصادر أهمها مذكرات محمد الشريف الزهار وكتاب المرآة لحمدان بن عثمان خوجة وذلك في الفصل الأول خلال تعرضنا لأوضاع الجزائر خلال العهد العثماني،ومذكرات خير الدين بربروسة وكتاب دليل الحيران أنيس السهرات لمحمد بن يوسف الزياني وذلك في المبحث التمهيدي ، وعلى مجموعة من المراجع نذكر منها صالح عباد في كتابه الجزائر خلال الحكم التركي حيث ساعدنا في مختلف مراحل البحث خاصة التعريف بالثورات ضد الحكم التركي وكتاب مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830موساعدنا بصفة خاصة في معرفة أوضاع الجزائر الاقتصادية في تلك الفترة وكتاب المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي وأفادنا في معرفة كل مايتعلق بالحملة الفرنسية وذلك الفصل الثالث .

وبحثنا هذا كغيره من البحوث لايخلوا من الصعوبات نذكر منها، تدخل تواريخ بعض الأحداث وكثرة المادة التاريخية وتشابكا مما صعب علينا عملية فرزها، عناء التنقل والبحث عن المراجع والمصادر، وسوء المعاملة من القائمين على المكتبات ،عدم إرجاع بعض الطلبة للكتب في الآجال المحددة .

الفصل التمهيدي

1- اوضاع الجزائر قبل مجيء العثمانيين

2-إرتباط الجزائر بالدولة العثمانية

3-مراحل الحكم العثمانـــي في الجزائر

الفصل التمهيدي :

1- أوضاع الجزائر قبل مجيء العثمانيين

أعقب سقوط الإمبراطورية الموحدية صراعات حادة بين دول المغرب كانت الجزائر مسرحا لها أكثر من تونس والمغرب الأقصى بحكم موقعها الجغرافي , الشيء الذي أضعف السلطة المركزية لبني زيان , كانت دولة بني زيان تسيطر نظريا على القسم الغربي من الجزائر الحالية التي أنشأها "أبو يحي يغمراس بن زيان" سنة 1236 م , لكن هذه المملكة ظلت عرضة لغزوات بني مرين في المغرب الأقصى , وبني حفص في تونس , هذا ما أدى إلى انتشار الضعف في دولة بني زيان وبني حفص في تونس .

كما أن الروابط القبلية التي كانت لا تزال تطبع المجتمع المغربي قد أدت إلى انفصال العديد من القبائل , وظهور إمارات ترفض الخضوع لأية سلطة مركزية [1], فعرف المغرب في هذه الفترة فوضى اجتماعية , وتفككا سياسيا وصراعات قبلية , وعلى العكس فقد عرفت أوربا , وعلى غرارها إسبانيا تطورا صناعيا , ونهضة في مختلف المجالات وعلى رأسها المجال العسكري , كما عرفت إسبانيا حدثا مهما وهو الزواج السياسي لملك أراغون "فرديناند" وملكة قشتالة "إزابيلا" وتوحيد شبه الجزيرة الأيبيرية سنة 1479م , والذي نتج عنه طرد المسلمين من الأندلس ومصادرة أملاكهم عقب سقوط غرناطة في يد الإسبان 1492م, وقد استقرت مجموعة كبيرة منهم في المغرب , فتتبعهم الإسبان خشية عودتهم .[2]

وقد ساعدهم في ذلك تجاوزهم لخلافهم مع البرتغاليين بخصوص مدينة مليلية بواسطة معاهدة " " توردي سلاس ".[3]

في ظل هذه الظروف تمكن الأسبان [4]من الاستيلاء على عدة مدن ساحلية منها المرسى الكبير 1505م ووهران 1509م ، وبجاية1510م ، والتي احتلها الإسبان دون مقاومة من أهلها .[5]

---

[1] صالح عباد : الجزائر خلال العهد التركي (1514-1830م) , دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع , الجزائر , 2005, ص07.

[2] عبد الله شريط , محمد الميلي : الجزائر في مرآة التاريخ , ط1, مكتبة البعث , قسنطينة , 1965,ص117.

[3] صالح عباد : المرجع السابق , ص27.

[4] انظر الخريطة رقم , ص77.

[5] المرجع نفسه , ص31.

أما بالنسبة لمدينة الجزائر والتي كانت إمارة مستقلة, فقد سارع أهاليها لعقد معاهدة مع الإسبان حيث توجه وفد يرأسه حاكمها سليم التومي إلى بجاية 1510م, واجتمعوا بالقائد الإسباني " بيدرو نافارو" واتفق الطرفان أن يعقد السلم بينهما , وأن يتعهد الطرف الجزائري إطلاق سراح الأسرى المسيحيين , وأن يضمن عدم تعرض الجزائريين للسفن الإسبانية , وأن يسافر وفد منهم لعقد اتفاقية نهائية مع حكومة الملك , وأن يدفع الجزائريون ضريبة سنوية إلى حاكم بجاية الإسباني , وذلك اعترافا بالتبعية مقابل عدم اعتداء الإسبان على مدينة الجزائر .

وعليه سافر الوفد الجزائري إلى إسبانيا , واتفق الطرفان على أن تسلم الجزائر أكبر جزرها الصخرية " البنيون* " للإسبان لكي يقيموا عليه معقلا يضمن حرية تجارتهم ومواصلاتهم البحرية إلا أن هذا المعقل ضيق حرية الجزائريين التجارية في البحر وبقي الحال كذلك ، وقد وقعت مستغانم مع الإسبان معاهدة نصت بصفة خاصة على أن أهل مستغانم ومزغران يلتزمون بدفع الضرائب و المكوس للإسبان وأن يطلقوا سراح العبيد المسيحيين الدين هم بحوزتهم .[1]

كما يلتزمون بتسليم العبيد المسيحيين الذين يفرون إلى الإسبان ويلتزمون بتموين وهران والمرسى الكبير، ويسمحون لهم باحتلال القلاع والحصون الموجودة في المدينتين وبتشييد أخرى إن أرادوا ،حتى تلمسان التحقت بهذه المدن وعقدت تحالفا مع الإسبان 1511م ، وأصبحت بموجبه تحت الحماية الإسبانية[2].

* البنيون هو منار إسلامي قديم يقع مدخل ميناء الجزائر بين عين البنيان و بانيام .انظر كتاب يحي بوعزيزالموجز في تاريخ الجزائر

[1] أحمد توفيق المدني : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792م), ط2, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , الجزائر ,1976,ص127 .

[2] صالح عباد : المرجع السابق , ص35.

بالنسبة للتجار الجزائريين فإنهم ظلوا تحت رحمة المدافع الإسبانية , وبقي الحال إلى عام 1516م , حيث توفي الملك الإسباني فرديناند الخامس ,فاستغل الجزائريون ذلك الظرف للتخلص من الضريبة التي كانوا يدفعونها للإسبان , إلا أنهم خافوا من انتقامهم فاستنجدوا بعروج * الذي كان متواجدا بجيجل , وقد لبى هذا الأخير طلبهم . فجهز حملة بحرية بقيادة أخيه "خير خيرالدين بربروسة ،وحملة برية قادها بنفسه بمساعدة بعض جيوشه , وعندما وصل الجزائر لم يتوقف بها , بل واصل طريقه نحو شرشال وذلك بغرض تصفية حسابه مع حاكمها "حسن قارا" وقتله لأنه خاف من منافسته في الحكم , ثم دخل مدينة الجزائر حيث استقبله سكانها بحفاوة , واعتبروه المنقذ الوحيد لهم , ولما كان عروج يستعد لمحاربة الإسبان أحس بأن "سليم التومي" لم يكن مطمئنا لوجوده لأنه ينافسه في الحكم وأخذ يتجسس عليه , وأدرك نوايا سليم التومي , فقتله ونصب نفسه حاكما على مدينة الجزائر 1516م وأصبحت بموجبه حيث توفي الملك الإسباني " فرديناند الخامس " ، فاستغل الجزائريون ذلك الظرف للتخلص من الضريبة التي كانوا يدفعونها للإسبان ، إلا أنهم خافوا من انتقامهم فاستنجدوا بـ " عروج " الذي كان متواجد بجيجل ، وقد لبى هذا الأخير طلبهم ، فجهز حملة بحرية تحت قيادة أخيه " خير الدين بربروسة " ، وحملة برية قادها بنفسه بمساعدة بعض جيوشه ، وعندما وصل الجزائر لم يتوقف بها حيث استقبله سكانها بحفاوة واعتبروه المنقذ الوحيد لهم ، ولما كان عروج يستعد لمحاربة الإسبان أحس بأن سليم التومي لم يكن مطمئنا لوجوده لأنه ينافسه في الحكم وأخذ يتجسس عليه ، غير أن عروج أدرك نوايا سليم التومي فقتله ونصب نفسه حاكما على مدينة الجزائر 1516م .[1]

وهكذا بدأت الأمور تستتب و تستقر للعثمانيين في الجزائر ، إلا أن وجودهم أقلق بعض جيرانها مثل حاكم تنس " حميد العيد " الذي جهز حملة ضد عروج ، إلا أن هدا الأخير أدرك دسائسه فاستدعى خير الدين من دلس وعهد إليه حكم المدينة في غيابه ، وأخذ معه ما يقارب العشرين من الأعيان و الوجهاء كرهائن خوفا من التمرد ، وبادر بالهجوم على خصمه في عقر داره ففر حميد العيد إلى الجبال ،

* أنظر الصورة رقم 1،ص81.

[1] عبد الحميد بن أسنهوا : دخول الأتراك العثمانيون إلى الجزائر , المطبعة الشعبية , الجزائر, (د.ت) , ص ص69,68. انظر أيضا :
Diego Haëdo : histoire des rois d'Alger , traduit par : Henri Delmas , Alger , 2004 , p p 28 , 29 .

ودخل عروج تنس في جوان 1517م ، وفيها وصلته وفود من مدينة تلمسان تستغيث به ضد سلطانها " أبو حمو الثالث " الذي تحالف مع الإسبان ضد سلطانهم الشرعي أبو زيان[1]

ومن ثم توجه نحو مدينة تلمسان ، ولما سمع أبو حمو الثالث بقدومه فر إلى مدينة وهران واستنجد بالإسبان المتواجدين في وهران ، فجهزوا حملة ضده وقد تصدى عروج لهم ، إلا أن عدم وصول المدد جعل عروج يعزم على مغادرة تلمسان ، إلا أن الإسبان قطعوا عليه الطريق وقتلوه قرب " وادي المالح " سنة 1518 .[2]

أمام هذه الأحداث و المستجدات فقد تأثر خير الدين* بربروسة بداية باستشهاد أخيه الذي أثر على معنوياته سلبا ، إضافة إلى قلة العدد و العدة ، وظهور طلائع التمرد في بعض المناطق المتحالفة معه بعد وفاة أخيه كتنس و شرشال وعودة بعض العناصر المعزولة عن الحكم إلى الحكم بتحالف مع الإسبان ، فقرر ترك مدينة الجزائر إلا أن سكانها تضرعوا له وطلبوا منه البقاء .[3]

---

[1] عبد الحمدي بن أشنهو : المرجع السابق ، ص 76 .

[2] شوفاليه كورين : الثلاثون سنة الأولى لقيام مدينة الجزائر (1510 – 1530م) ، ترجمة :جمال حمادنة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007م ، ص 37 .

* أنظرالصورة رقم 2،ص 82.

[3] مجهول : غزوات خير الدين وعروج ، تصحيح وتعليق : نور الدين عبد القادر ، مكتبة رودسي بن قدور ، الجزائر ، 1934، ص 41 .

2-ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية

إن أوضاع مدينة الجزائر المزرية وتضرع سكان الجزائر وإلحاحهم عليه بالبقاء أثرت في نفسية خير الدين لذلك قرر البقاء بها ، إلا أن حالة الضعف التي كان بها جعلته يفكر في قوة يحتمي بها و التي تمثلت في الدولة العثمانية ، إذ كان من الطبيعي جدا لمدينة إسلامية مهددة من قبل المسيحيين أن تضع نفسها تحت حماية الخلافة الإسلامية ، وقبِلَ أهالي مدينة الجزائر باقتراح خير الدين المتمثل في إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية* ، وبهذا أمرهم بكتابة كتاب على لسانهم للسلطان العثماني يخبرونه بصرف طاعتهم إليه ،كما كتب هو الآخر كتابا للسلطان العثماني يتضمن نفس العرض ، وأرسل وفد يرأسه " الحاج حسين " إلى حضرة السلطان العثماني " سليم الأول " ووجه صحبتهم هدية عظيمة .[1]

فقبل السلطان العثماني الاقتراح الذي وجهه خير الدين إليه وبذلك دخلت الجزائر تحت لواء الخلافة العثمانية عام 1518م ، وكان من نتائج ذلك أن قسمت الجزائر إداريا إلى أربعة أقاليم[2] و هي :

دار السلطان : تضم الجزائر و ضواحيها تخضع مباشرة لحكم الداي .

بايلك التيطري : عاصمته المدية .

بايلك الشرق : عاصمته قسنطينة .

بايلك الغرب : عاصمته مازونة ثم انتقلت إلى وهران بعد تحريرها عام 1792م .

أما من ناحية للتسيير التوجيه فقد عرفت الجزائر في العهد العثماني مجلسان هما: [3]

---

* أنظر الخريطة رقم 2،ص 78.

[1] شوفاليه : المرجع السابق ، ص 38 .

[2] مجهول : المصدر السابق ، ص 42 .

[3] صالح فركوس : المختصر قي تاريخ الجزائر من عهد الفينيقين إلى خروج الاستعمار الفرنسي(814 ق م ،1962م)،دار العلوم للنشر والتوزيع،2003،ص112.

- ومجلس الشورى : وكان يتألف من أربعة أعضاء وهم :

1-وكيل الخراج : وهو المتصرف في شؤون البلاد المدنية والعسكرية

2-خوجة الخيل : وهو بمثابة وزير الحربية، وله التصرف في أملاك الدولة

3-الخز ندار: وهو وزير المالية

4-آغا العرب :وهو القائد العام للقوات البرية

- مجلس الديوان: وكان يتألف من عدة أعضاء وهم :

1-الخليفة : وهو نائب رئيس الدولة

2-الدفتر دار:وهو رئيس ديوان الإنشاء أي كاتب الدولة

3-الباش سيار : وهو مدير البريد، والسيار وهو حامل الرسائل والأوامر ليوصلها إلى أصحابها ،ولم يكن البريد للعامة بل كان لمصالح الدولة فقط .

4-الترجمان:

5-شاوش كرسي : وهو الواسطة بين الداي وكبار الموظفين في الدولة

6-بيت مالجي: وهو مكلف بمواريث من يموت وليس له وارث [1]

وما تجدر الإشارة إليه أن الدواوين أواخر العهد العثماني فقدت أهميتها وصلاحياتها وقد وصف القنصل الأمريكي في الجزائر شالر ذالك قائلا:" كان الديوان في الماضي جهاز الدولة الحقيقي فكان يعقد جلساته بانتضام ،ويتصرف في الأموال ويدعي الحق قي مناقشة جميع الإجراءات الحكومية ويتخذ قرارات بشأنها لكنه الآن أصبح مجرد شبح لا حول ولا قوة له ."[2]

[1] صالح فركوس, المرجع نفسه،ص113.أنظر أيضا:لاكوست نويشي وبريبان : الجزائر بين الماضي والحاضر،تعريب رابح اسطنبولي وآخرين،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1984،ص ص 72 ، 73.

[2] وليا م شالر:مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر(1816-1824م)،تعريب وتعليق إسماعيل العربي،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،1982،ص43.

ومما سبق فإن سكان مدينة الجزائر وبجاية وتلمسان هم الذين طلبوا مساعدة خير الدين للتخلص من الخطر الإسباني المحدق بهم ،وذلك لأ نهم أدركوا عدم قدرتهم على مواجهة الجيوش الإسبانية المسيحية ،وطلبوا من السلطان العثماني الانضواء تحت لواء الخلافة العثمانية .

وقد عرفت الجزائر في تلك الفترة نظام حكم خاص مر بعدة مراحل وهي :[1]

3-مراحل الحكم العثماني بالجزائر

- مرحلة البايلربايات (1518-1587):

يعتبر خير الدين أول من حمل لقب بايلرباي في الجزائر*،ينظر إلى هذا العصر على أنه أزهى عصور الحكم العثماني في الجزائر ،حيث ازدهرت البلاد في هذه الفترة من جميع النواحي التعليمية والاقتصادية والعمرانية وذالك بفضل التعاون بين فئة رياس البحر في القيادة وأبناء البلاد .

كما كان لمهاجري الأندلس دورا كبيرا في ازدهار البلاد ورقي المدينة ،انعكس على جميع مناحي الحياة في خاصة صناعة السفن والعمارة التي لازالت شاهدة على تلك الحقبة من الزمن إلى وقتنا الحاضر . بالإضافة إلى دورهم في الاقتصاد والتجارة ، ويمكن أن نلخص أهم أحداث هذه المرحلة :

-إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية , وغدا خير الدين يلقب بالبايلرباي حاكما للجزائر، أصبحت الجزائر إحدى الولايات العثمانية مما أكسبها قوة في الداخل والخارج .[2]

- يأتي قرار تعين الحاكم في الجزائر من طرف السلطان العثماني،كما أن فترة حكم كما أن فترة حكم البايلريايات لم تكن محددة .

-إستطاع البايلربايات أن يحققوا الوحدة الإقليمية والسياسية للدولة ،كما إستطاعواتحرير برج الفنار1529من الإسبان، وتحرير بجاية عام1555م،وإنهاء الوجود الإسباني في تونس 1574م .[3]

---

[1] عمار بوحوش : التاريخ السياسي للجزائر من البداية وإلى غاية 1962،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت (لبنان)،1997،ص53.

* كلمة تركية تعني أمير الأمراء وهو لقب يمنحه السلطان العثماني لأمير منطقة ما ،مع كسوة الشرف(القفطان)،تعبيرا عن المكانة المرموقة وتميزا له ... أنظر: عمار بوحوش : المرجع السابق،ص57 .

[2] صالح فركوس : المرجع السابق ، ص 37 .

[3] المرجع نفسه ، ص 38 .

وقد عرفت الجزائر قي هذه الفترة تأسيس نواة البحرية الجزائرية والتي استطاعت التصدي للغارات الصلبية المتتالية والتي أصبحت الجزائر هدفا لها .[1]

مرحلة الباشوات(1587–1659) :

أصبح خطر انفصال الجزائر عن الدولة العثمانية هاجسا للسلاطين العثمانيين ، نظرا لتزايد نفوذ البايلربايات والذين أصبحوا يغطون على السلطان ذاته،مما دعا إلى ضرورة تقليص نفوذ هؤلاء الحكام ، وتعويضهم بالباشوات والذين حددت فترة حكم كل واحد منهم بثلاث سنوات .[2]

إن هذه الفترة القصيرة خلقة مشاكل كبيرة حيث انصرف كل باشا إلى السلب والنهب وجمع الثروة ،وهو ما دفع باليولداش بالثورة على الباشوات ويضعوا حدا لنضام الحكم .

وقد تميزت هذه المرحلة بما يلي:[3]

- الفصل بين الجزائر وتونس وطرابلس حيث أصبح ولايات منفصلة،وتعيين باشا على كل وأدت منها بعد أن كان يحكمها حاكم واحد[4]
- بروز قوة الرياس (رجال البحرية الجزائرية) إلى درجة أن الدول الأوربية تخشى الجزائر وتسعى إلى أقامة علاقات صداقة وتعاون معها[5]
- التصادم بين جنود البحرية(الرياس)وبين جنود القوات البرية (اليولداش) بسب الغنائم التي كان يحصل عليها الرياس من جراء غاراتهم على الأساطيل الأوربية المسحية .

إن ها النظام لم يدم طويلا بسبب انتشار الرشوة والفساد،حيث أصبحت المناصب تباع وتشترى ولا تراعى الكفاءة في تعين الحكام ،وقد استغل الانكشارية تلك الظروف،وعينوا وأحدا منهم حاكما سمي الآغا ومنه بدأت مرحلة جديدة عرفت بمر حلة الآغاوات .[6]

---

[1] عبد الحميد بن أشنهو : المرجع السابق،ص117.

[2] ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي:الجزائر في مرآة التاريخ(العهد العثماني)، ج4،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984،ص14.

[3] عمار بوحوش : المرجع السابق،ص58.

[4] عبد الله الشريط ، محمد الميلي : المرجع السابق،ص124.

[5] عمار بوحوش : المرجع السابق،ص58 .

[6] المرجع نفسه ، ص 59 .

مرحلة الآغاوات:

تعتبر هذه المرحلة من أقصر المراحل لإقدام قادة الجيش البري على خلع الباشا،وتعويض هذا القائد بقائد أخر من فئتهم أطلق عليه اسم الآغا ،وقد جاء بمثابة انقلاب على الباشا المعين من الباب العالي و المدعوم من طرف طبقة الرياس و تقرر بان يكون الحكم ديمقراطيا[1] أي أن السلطة التنفيذية تكون بيد الآغا أما السلطة التشريعية تكون بيد الديوان ، وبذلك أصبحت طائفة الرياس تحتل دورا ثانويا .[2]

وقد تميزت فترة حكم الاغاوات بما يلي:

– اضمحلال السلطان العثماني وغياب السيادة العثمانية في الجزائر ، والتي كان من نتائجها انقطاع المساعدات العثمانية على الجزائر .[3]

– مدة حكم الأغا لا تتجاوز السنتين ومنهم من حكم أقل من شهرين، ويخلفه في مهامه أكثر القادة العسكريين أقدميتا، كما أن هذه المدة لم تكن كافية للأغا فكان كثيرا مايرفض تسليم المنصب لمن يليه في الأقدمية .[4]

– استفحال الصراعات المحلية بين ضباط الجيش البري وضباط الجيش البحري وتذمر أبناء الشعب من الفساد وانتشارا لفوضى وكثرة الاغتيالات في صفوف الآغاوات .

– محاولة الأوجاق تحسين العلاقات مع فرنسا ولكن هذه الأخيرة واصلت إعتداءاتها على السفن والمراكب الجزائرية في البحر ودخل معها قراصنة الانجليز والأسبان والهولنديين .[5]

لم تستمر هذه المرحلة أكثر من اثنا عشرة سنة كانت كلها سنوات فوضى مكنت طائفة الرياس من تنظيم انقلاب قضى على حكم الأغوات وعوض بنظام الدايات .[6]

---

[1] عمار بوحوش:المرجع السابق،ص59.

[2] صالح فركوس:المرجع السلبق،ص97.

[3] عمار بو حوش:المرجع السابق،ص93.

[4] أحمد سليماني:النظام السيلسي الجزائري في العهد العثماني،مطبعة دحلب،الجزائر،1993،ص14.

[5] صالح فركوس:المرجع السابق،ص99.

[6] عبد الله الشريط،محمد الميلي:المرجع السابق،ص93.

مرحلة الدايات(1671–1830):

استفاد حكام الجزائر من تجارب الحكم السابقة في هذا البلد , حيث حاولوا ترضية السلطان العثماني , وتقوية مركز الحاكم (الداي) , وذلك بتعيينه في منصب مدى الحياة , بناءا على اقتراح من الديوان , وبتعيين رسمي من طرف السلطان العثماني , وبذلك أصبحت الجزائر دولة مستقلة عن اسطنبول , وخاصة أن الداي أصبح ينتخب من الباب العالي .[1]

وكان السلطان العثماني يعين إلى جانب الداي حاكما ثانيا يلقب بالباشا , وبقي ذلك إلى غاية 1711م حيث تمكن الداي من أن يجمع بين منصب الداي ولقب الباشا , بعد أم أبعد الباشا نهائيا من البلاد[2] , كما تجدر الإشارة إلى أن الدايات كانوا يعينون من بين ثلاثة موظفين سامين في الدولة وهم : الخزناجي والآغا وخوجة الخيل, كما تميزت هذه المرحلة بتحول جنود البحرية من مناضلين ومقاتلين ضد القوات المسيحية المناهضة للإسلام إلى رجال يبحثون عن الأموال والغنائم لأنفسهم وللحكام , ولم يهتموا بتطوير البلاد من الداخل .[3]

لقي العديد من الحكام مصرعهم على يد المجموعات المعادية لهم حيث أصبحت قضية إغتيال المسؤولين عملية عادية .أما بالنسبة لعلاقة الجزائر بالدولة العثمانية في الفترة الأخيرة قد تميزت بالضعف , إذ أن الدايات كانوا يرفضون تدخلات الباب العالي في شؤونهم .[4]

وفي الأخير فإن قدوم العثمانيين للجزائر كان إيجابيا بالنسبة للجزائر , إذ أنهم تصدوا للغارات الصليبية , كما عملوا على تأسيس كيان سياسي شكل فيما بعد ملامح الدولة الجزائرية , كما كانوا سببا في تأخير احتلالها زهاء ثلاثة قرون , إلا أن الحكم العثماني في الجزائر لم يخل من السلبيات خاصة في العهود الأخيرة منه .[5]

---

[1] عمار بوحوش : المرجع السابق ,ص 60.

[2] CHAW:Voyage dans la régence d Alger , tard par : J- Maccarty ; 2eme édition ,Boussalama , Tunis, 1990, P12.

[3] أحمد السليماني : المرجع السابق , ص17.

[4] عمار بوحوش, المرجع نفسه ,ص61.

[5] مولود قاسم نايت بلقاسم : شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830م,ج1,ط1, دار البعث للنشر والطباعة , قسنطينة,1985,ص84.

الفصل الأول

1- الأوضاع السياسية
2- الأوضاع الإقتصادية
3- الأوضاع الإجتماعية
4- الأوضاع العسكرية

الأوضاع الداخلية للجزائر (1800 – 1830م)

لقد عرفت الجزائر في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني (1800-1830) تدهورا عاما طرأ على مجالات الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، وسوف نعالج من خلال هذا الفصل الأوضاع العامة التي آلت إليها الجزائر في تلك الفترة مع التركيز على أهم الأسباب التي كانت وراء هذا التدهور الذي فتح شهية الأطماع الاستعمارية في هذه المنطقة.

1-الأوضاع السياسية

تميزت الفترة الأخيرة من الحكم العثماني بعدم استقرار جهاز الحكم، وكثرت الاضطرابات التي عمها الظلم الاجتماعي والاستبداد السياسي، وتتجلى هذه الاضطرابات في كثرة تعاقب الحكام الذين تميز جلهم بالضعف وعدم الكفاءة[1] ولم يتمكنوا من ضبط أمور الدولة خاصة بعد أن أصبحت المناصب تباع وتشترى بدلا من مراعاة الكفاءة التي تسمح بتسيير شؤون الدولة بحزم ودراية، وفي هذا الصدد يقول حمدان بن عثمان خوجة: " لم يكن على الذي يريد أن يصبح بايا إلا أن يتوجه إلى أقارب أحمد باشا ويمدهم بالأموال وكانت المناصب تباع وتشترى"[2] كما أن أغلب دايات الجزائر في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني وصلوا إلى مناصبهم بفضل الانقلاب للمطالبة بزيادة الأجور كما أن الكثير منهم كان يمارس مهنا تعتبر وضيعة كمهنة الفحامين والإسكافيين والكناسين وأبرز مثال على ذلك الغسال الذي كان يشتغل بتغسيل الموتى قبل 1808م .[3]كما أن منصب الداي يفرض عليه الاختيار، ولا يمكنه الاستقالة فبالنسبة إليه لا يوجد في الحياة سوى كانين العرش أو القبر[4]

---

[1] عبد الرحمن بن محمد الجيلاني ، ج3 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1989م ، ص 453 .

[2] حمدان بن عثمان خوجة : المرآة (لمحة تاريخية وإحصائية عن إيالة الجزائر) ، تعريب : محمد العربي الزبيري ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982م ، ص ص 150 ، 151 .

[3] ناصر الدين سعيدوني : موظفو الدولة الجزائرية خلال ق 19 م ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985م ، ص 26 .

[4] وليام شالر : المصدر السابق ، ص 45 .

ونتيجة لهذا فقد شاعت ظاهرة اغتيال الدايات مثل ما وقع للداي: مصطفى باشا 1805م، والداي أحمد 1809م، والداي محمد 1814م، والداي عمر آغا عام 1817م، كما كانت فترة الكثير منهم لا تتعد بضعة أشهر[1].

كما أن الحكام قاموا بسياسة غير وجيهة أنبتت الحقد والضغينة وحب الانتقام في صدور الأهالي وأصحاب الطرق الصوفية، تمثلت في السياسة الضريبية المجحفة والتي كان يفرضها الحكام على الأهالي، وفي الوقت ضعف فيه الأسطول البحري ونصبت موارده ودب التدهور الاقتصادي في كامل أنحاء البلاد بل وقد حدد الحكام لذلك الغرض حملات عسكرية مخزنية لقمع الممتنعين عن أداء الضرائب ولذلك قلت ثقة الأهالي في الحكام و المسؤولين الذين أهملوا مصالح البلاد وأفقروا العباد وانصب اهتمامهم بالسلطة، فأحس الأهالي أن جهوداتهم موجهة لخدمة الطبقة الحاكمة دون التمتع بأي حقوق فتوجهوا بشكواهم إلى رجال الطرق الصوفية نظرا لما كانوا يتمتعوا به من نفوذ روحي في المجتمع الجزائري[2].

وأمام ذلك لم يستطيع رجال الزوايا والطرق الصوفية أن يقفوا مكتوفي الأيدي أمام هذه الشكاوي المقدمة من الأهالي من جراء السياسة التعسفية، وباعتبار أن مصالح رجال الدين أيضا تضررت وضاعت امتيازاتهم* التي كانوا يتمتعون بها على رأسها الوساطة بين الأهالي والحكام في جباية الضرائب بالإضافة إلى الاستفادة من الأرباح التي كان يدرها الجهاد البحري، والهدايا الاعتبارية في المواسم الدينية، ففضلوا الوقوف إلى جانب أهالي الريف[3]

---

[1] ناصر الدين سعيدوني ، البوعبدلي : المرجع السابق ، ص 41 .

[2] محمد ميمون : التحفة المرضية في الدولة البكداشية في البلاد الجزائرية المحمية ، تقديم وتحقيق : محمد بن عبد الكريم ، ط1 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1972م ، ص 15 .

* وقد سعى الحكام العثمانيون إلى اكتساب تأييد رجال الدين بمنحهم العطايا و إسقاط المطالب المخزنية عنهم .

[3] ناصر الدين سعيدوني : دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984م ، ص 74 .

ولذلك برزت سلسلة من الثروات في مطلع القرن التاسع عشر كرد فعل على سياسة الحكام الجائرة

ومن أهم الثورات نذكر على سبيل المثال الثورة الدقاوية التي قادها ابن الأحرش وابن الشريف في شرق وغرب البلاد والثورة التيجانية في الجنوب الغربي للبلاد والتي قادها سيدي أحمد التيجاني

أ- **تمرد بن الأحرش :**

هو محمد بن عبد الله بن الأحرش ويقول الآغا بن عودة المزاري :«... فتى مغربي مالكي مذهبا ودرقاوي طريقة، درعي نسبا، جاء لتلك القبائل، وأدعى أنه المهدي المنتظر وكان صاحب شعوذة وحيل وخبر، يبدل بها الأشياء للشيء الذي يريد فورا كاستحالة البعر زبيبا وتقطير السيف سما والحجارة درهما، والروث ثمرا، فرأت الناس منه العجائب وأظهر لهم الأمور الغرائب التي هي قلب العين لا حقيقة لها دون مين، فنصروه وعقدوا له البيعة حزبا حزبا وجندوا معه، وأمره كله كذبا ».[1]

وقد ادعى أنه من الأشراف غير أن هذه النسبة ليسلها من يثبتها* ، وعند عودته من مكة بعد أداءه فريضة الحج صادف ابن الأحرش الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونابرت وشارك في مقاومتها مع جماعة من أهالي المغرب الأقصى والجزائر إلى جانب الجيش المصري فأظهر شجاعته وبلاء الأمر الذي أكسبه شهرة.[2]

ولما تدخل الإنجليز وعادت الحملة الفرنسية قفل ابن الأحرش مع جماعة من الحجاج وفي تونس تعرف على حمودة باشا باي تونس الذي أكرمه وأوعز إليه بمحاربة أتراك الجزائر ووعده بالدعم[3]

---

[1] الغالي العربي :« الحياة السياسية في نيابة الجزائر إبان عصر الدايات ، ثورة ابن الشريف الدرقاوي ضد الأتراك في مطلع ق 19م »، مجلة الدراسات التاريخية ، ع 23 – 24 ، التاريخ ، جامعة الجزائر ، سبتمبر ، ديسمبر 1986م ، ص 165 .

* وهذا بهدف كسب التأييد و المكانة في أعين العامة وتجنب الانتماءات القبلية أو الجهوية ، وهذه الطريقة معروفة في التاريخ الإسلامي ...أنظر : صالح عباد : المرجع السابق ، ص 194 .

[2] الآغا بن عودة المزراتي : طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و غسبانيا و فرنسا إلى أواخر ق 19م ، تحقيق و دراسة : يحي بوعزيز ، دار البصائر للنشر و التوزيع ، حسين داي ، الجزائر ، ص 300.

[3] صالح عباد: المرجع السابق ، ص 194 .

وقد أورد الزهار الحوار الذي دار بين حاكم تونس حمودة باي وابن الأحرش حيث قال له: «... إن رجلا مثلك شجاع يجب أن يذهب إلى ملك الترك بالجزائر وينزعه من أيديهم ، ونحن نمدك بما يخصك والعرب يتبعونك لكثرة ما ظلمهم الأتراك» والظاهر أن حمودة باشا لمس في هذا الرجل طموحا كبيرا فأراد أن يشغله وحكام الجزائر في آن واحد عن أمور إيالته ، وحسب روايات أخرى فإن الإنجليز هم الذين شجعوه على العودة وأعطوه بندقية تطلق ثلاث طلقات دون تعمير وهذا بهدف ضرب المصالح الفرنسية في الجزائر[1].

اتجه ابن الأحرش من تونس إلى قسنطينة أقام فيها بعض الوقت واطلع على أحوالها ثم انتقل إلى جيجل حيث توقف بعض الوقت في قبيلة بني أحمد وقد استعمل شتى الوسائل للحصول على أتباع مخلصين والقيام بانقلاب ضد الوجود العثماني وأدعى أنه صاحب الوقت وأن دعوته مستجابة بالنصر يتبعه حيث حل وبارود عدوه لا يضره ، ولا يصيب أتباعه بل يرجع لديهم ماءً

وكانت أحاديثه عن حرب مصر تجذب إليه سكان المدينة واستغل الفرصة لتحريض الناس ضد الأتراك ودعوته لمحاربتهم كما حارب المصريون الفرنسيين، وقد قويت شوكته وازدادت شعبيته مما اضطر حاميه جيجل من المدينة فأصبح يتصرف كالملك.[2]

وقد اكتسبت حركة ابن الأحرش طابعا مقدسا بعدما انظم إليها العديد من المرابطين أمثال سيدي عبد الله الذبوشي مما جعل العديد من قبل تلك الناحية تصدقه وتؤمن لدعوته كأولاد حيدون وبني مسلم وبني خطاب وغيرهم.

وبلغ عدد أنصاره أكثر من عشرة آلاف رجل توجه بهم اتجاه قسنطينة ويقول الآغا بن عودة المزراتي :«... فحرك بهم على قسنطينة وحاصروها يوما كاملا وكان الباي عثمان خارجا عنها لبعض شؤونه فلما سمع أتاه عاجلا» ، ولما حل ابن الأحرش بالمدينة خرج أهلها لمحاربته تحت قيادة أحمد ابن الأبيض فوقع القتال بين الطرفين، وتكبد ابن الأحرش هزيمة نكراء وتشتت قواته ، يقول الآغا المزراتي :«...فألفاه حزم وأصيب بالرصاص في فخذه فتكسرت لكن حاله لا تزال مجتمعا غير متشتت.».[3]

---

[1] محمد الشريف الزهار : مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر ، تحقيق : أحمد توفيق المدني ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1980م ، ص 185 .

[2] صالح عباد : المرجع السابق ، ص 195.

[3] الآغا عودة المزراتي : المصدر السابق ، ص 301.

ولما علم الداي بهذا الحادث كتب إلى عثمان باشا يقول : «... لقد عينت بايا على المقاطعة التي ظهر فيها الشريف فمن الواجب عليك أن تلاحقه وتقضي عليه، وإني أضعك بين أمرين لا ثالث لهما رأسك أو رأسه »، وفي هذا يقول الزهار : «...إن ابن الأحرش عندما سمع بخروج الباي في طلبه ذهب إلى ناحية واد الزهور، وأقام بين تلك القبائل، وخمدت نار الفتنة وأذعن العرب للطاعة ووقعت العافية، ورجع إلى قسنطينة وعندما أتى الربيع، أمره الأمير بالدنوش فقدم الجزائر كما هي ولما رجع لقسنطينة واستراح أياما لقتال ابن الأحرش »[1] .

فجهزا لباي عثمان حملة عسكرية وتوجه في شهر أوت 1804م للبحث عن الشريف بن الأحرش ولما وصلت المحلة إلى وادي الزهور بنواحي القل واستقروا بمرجة ، وفي تلك الليلة نزلت أمطار غزيرة فقام ابن الأحرش ومن معه من القبائل بتحويل مسير الوادي المذكور على تلك المرجة فصارت مثل الصبخة، فابتلعت أرجل الخيل على البوادر، والرجال إلى الركبة ثم حملوا على المحلة وقتلوا الباي ومن معه فلم ينج منهم أحد .[2]

وفي هذه الواقعة قتل الداي عثمان وعم ابن الأحرش ومن معه من القبائل أموالا لا تحصى، وذلك الباي عندما خرج من قسنطينة لم يترك شيئا بخزينتها وحمل جميع ما فيها من الأموال ،[3]ولما بلغ السلطة المركزية بالجزائر مقتل الباي عثمان وتشتتت قواته، عين الداي مصطفى باشا عبد الله بن إسماعيل قائد وطن خشنة بايا على قسنطينة وكلفه بتتبع ابن الأحرش ، وبعد عشرة أشهر من ملاحقته والحروب الدائمة، لم يجد بدلا من وضع حد لثورته والالتحاق بمجموعة

[1] محمد الشريف الزهار : المصدر السابق ، ص 86 .

[2] المصدر نفسه ، ص 86 .

[3] محمد بن الأمير عبد القادر : تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر ، شرح وتعليق : محمود حقي ، ج1 ، ط 1 ، المطبعة التجارية عزوزي وجاويش ، الإسكندرية ، 1903م ، ص 77 .

درقاوة من العرب الجزائري بابن الشريف عبد القادر الدرقاوي وخاض إلى جانبه معارك ضد الأتراك[1] وبقي معه إلى أن تمكن الباي من دس من قتله من أصحابه.[2]

ب–تمرد درقاوة :

اسمه الكامل هو عبد القادر بن الشريف الذي يعرف لدى العامة بابن الدرقاوي، ويعود أصله إلى قبيلة كسانة المقيمة على ضفاف واد العبد، تعلم مبادئ اللغة في مسقط رأسه في قرية أولاد بالليل ثم التحق بزاوية القيطنة بمعسكر التابعة للطريقة القادرية، وفي هذا يقول الآغا عودة المزراي: « ... وكان في أول حاله عالما متفننا في سائر علوم الدين محققا لها، بقيودها والمنطوق والمفهوم ورعا زاهدا متعبدا راكعا ساجدا صائما قائما، حنينا رحيما، أستاذ يقرئ القرآن ويعز أهله، ويزيل بتعلمه لكل جاهل جهله والناس يشيرون إليه بالصلاح و النسك والنجاح » [3] وبعدها سافر إلى زاوية بوبريح في المغرب الأقصى وهناك اتصل بمولاي عبد الله بن محمد الدرقاوي الذي أخذ عنه الورد[4] وقال له: « يا سيدي إن في وطننا قوما يقال لهم الترك لاشيء لهم من دعائهم للإسلام، ويظلمون الناس ولا يعبؤون بالعلماء والأولياء، ونسأل منك أن يكون هلاكهم على يدك يستريح منهم العباد وتطهر منهم البلاد ».[5]

ولما عاد ابن الشريف إلى بلاده بدأ يخطط لثورته المناوئة للحكم التركي وابتدع أمورا يمجها الطبع وينكرها الشرع واقتدى به في ذلك الجل من الناس، وأخذ عنه كل من هو في عقله غاية الإحساس وسيقت له الهدايا من كل فج .[6]

---

[1] صالح عباد : المرجع السابق ، ص 200 .

[2] محمد بن الأمير عبد القادر : المصدر السابق ، ص 77 .

[3] الآغا بن عودة المزاري : المصدر السابق ، ص 303 .

[4] ناصر الدين سعيدوني : دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر (العهد التركي) ، المرجع السابق ، ص 180.

[5] محمد بن يوسف الزياني : دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران ، تقديم وتعليق : المهدي البوعبدلي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1978 م ، ص 208 .

[6] محمد الشريف الزهار : المصدر السابق ، ص 85 .

ويقول عنه الزهار:«... ظهر الشريف وكاتب العرب في أمر القيام على الترك، وادعى أنه صاحب الوقت واتبعه العرب وسارت إليه القبائل وظهرت له الكرامات .».[1]

وبينما الناس على غفلة إذ بين الشريف أصبح قائما بأقوالهم معلنا بالجهاد على الأتراك والمخزن محللا لدمائهم وأموالهم فاجتمعت إليه الغوغاء من كل جانب ومكان، وهبط مع واد مينا قاصدا نحو المخزن وأذن لأتباعه بالنهب لأموال أتباع الترك وإما بلغ الداي مصطفى خبر هذا الثأر جهز جيشا وقصد ابن الشريف ، والتقى الجيشان بقرية فرطاسة بين وادي مينا ووادي العبد ووقعت صدمات بين الطرفين أسفرت عن انهزام الداي مصطفى وتشتت جيشه ففر راجعا إلى و

وفي هذا يقول الآغا بن عودة المزاري: « ... فاشتد القتال بينهما على الماء وصارت نار الحرب بينهما بالحتوف وتزاحمت لبعضهما البعض الصفوف وتراكم الأمر وحمى المعروف، فانهزم الباي وقام مخزنه على ساق واحدة وركب العدو في ظهره في تزايد .»[2] فصار الباي في ورحل الباي للمعسكر على غير الحال المعهودة وعساكر خلفه مطرودة [3]وعلى إثر هذا النصر تحصن في مدينة معسكر وكاتب القبائل مشيرا إياهم قائلا:«...أننا نزعنا عنكم ما كنتم فيه من الحقرة والذلة والمسكنة وأداء المغارم والجزية الثقيلة والمؤن الجليلة الذي جميع ذلك هو حرام على من انتظم بالدخول في الإسلام، وقد قطعنا دابر الترك الظلام وأتباعهم الشرار اللئام، فالواجب عليكم مبايعتنا والإذعان لنا وطاعتنا » [4]وبذلك تمكن من جمع الأنصار وحاصر مدينة وهران ثمانية أشهر، أشهر، إلا أنه لم يتمكن من اقتحامها لضعف العدة والعتاد فلم ضعف أمره تراجع عنه أتباعه انتقل إلى قبيلة بني يزناس على الحدود المغربية فتوارى عن مسرح الأحداث وبقي يقيم هناك إلى أن توفى.[5]

---

[1] محمد الشريف الزهار: المصدر السابق ، ص 84 .

[2] الآغا بن المزاري : المصدر السابق ، ص 305 .

[3] محمد بن يوسف الزياني : المصدر السابق ، ص 209 .

[4] الآغا بن يوسف المزاري : المصدر السابق ، ص 307 .

[5] محمد بن الأمير عبد القادر : المصدر السابق ، ص 6 .

ج–تمرد التيجانية:

اسمه الكامل محمد بن أحمد المختار التيجاني وهو من قبيلة عين ماضي قرب الأغواط التجأ مع والده وشقيقه محمد الصغير إلى المغرب الأقصى ولما توفي والده عام 1815م عاد مع شقيقه إلى عين ماضي ولقد عرفت الطريقة التيجانية ازدهارا كبيرا بعد عودة والدي سيدي أحمد التيجاني[1] وقد قام السيد محمد الكبير بتجهيز جيش من ستمائة رجل من التيجانية من أهل عين ماضي وعدد كثير من العرب الصحراوية التي لا تمثل للمعروف ولا تنهي عن المنكر.[2]

ولما أنهى استعداداته توجه وقبائل الحشم الذين أذعنوا له بالطاعة نحو مدينة معسكر 1827 ولما وصل إلى غريس وأخذ يقاتل أهل معسكر واستولى على أهل بعض الجهات، بعث الباي بالمال لكبراء الحشم لكي يتخلوا عنه وخرج إليه من وهران الباي حسن وأمر المحلة أن تردفه وفر الحشم عن التيجاني وفر الكثير من جيوشه التي أتت معه ولم يبقى معه إلا نحو الثلاثمائة من الأعراب قاتلوا قتالا شديدا إلى أن قتلوا جميعا[3] وقتل معهم محمد التيجاني وأرسل رأسه إلى الجزائر وأرسل سيفه إلى السلطان محمود خان وقد كان للحكام المغاربة دور رئيسي في إثارة هذه الاضطرابات الداخلية ضد دايات الجزائر وذلك لتحقيق الأهداف التقليدية لسلاطين المغرب وبذلك ساهمت هذه الثورات إلى حد كبير في إضعاف السلطة الحاكمة في الجزائر وانهيار الحكم العثماني فيها.[4]

---

[1] صالح عباد : المرجع السابق ، ص 230.

[2] الآغا بن عودة المزاري : المصدر السابق ، ص 354 .

[3] محمد الشريف الزهار : المصدر السابق ، ص 160.

[4] محمد بن الأمير عبد القادر : المصدر السابق ، ص 81 .

د–الدور السياسي لليهود

وفي الوقت الذي كانت تتقلب فيه الجزائر بالفوضى والاضطرابات، استغل اليهود هذا الوضع في مد نفوذهم إلى الميدان السياسي والمالي في الجزائر واستخدموا شتى الوسائل لكسب ود حكامها إبتداءا بالهدايا الثمينة والمساعدات المالية إلى التجسس في الداخل والخارج وقد أنشأ نفتالي بوجناح ويوسف بكري* وأخوه يعقون شركة تجارية في الجزائر في عهد صالح باي وتقوم بدور الوسيط بين الأهالي والشركة الفرنسية (شركة أفريقيا) صاحبة الامتياز واستطاعت الشركة اليهودية من إنشاء وكالة لها في عنابة ومنها إلى كل أنحاء الشرق الجزائري، منطقة الجنوب، وإلى تونس حتى أصبحت تحتكر شراء محاصيل الأهالي، فتسلم جزءا من مشترياتها للشركة الفرنسية وتتصرف في الجزء الباقي[1] وقد تمكنوا من السيطرة على القطاعات الحيوية في الدولة الجزائرية تحت رعاية بعض الحكام مثل حسن بوحنك باي قسنطينة وبفضل تجربتهم التجارية وبفضل معرفة لغة وعادات الجزائريين واستمالة حكام الإيالة وربطهم بالمصالح التجارية اليهودية والفرنسية.[2]

وهكذا أصبح اليهود يتدخلون في الأمور السياسية حيث أصبح لهم القدرة على تعيين الموظفين الكبار في الدولة، وخير مثال على ذلك الداي مصطفى الذي قيل أنه كان كناسا ورفعه اليهود إلى منصب الداي كما توسط بوشناق في كثير من الأحيان بين الجزائر والدول الأجنبية، استقبل في 1801م قناصل الدنمرك والسويد وهولندا وتسلم منهم باسم الداي هدايا .[3]

---

* بكري بوشناق : ينحدران من عائلتان يهوديتان من ليفورته الإيطالية وخلافا لليهود الموجودين بالجزائر فعائلات ليفورتة الإيطالية توصلت إلى تأسيس قوة مالية ، وصلت عائلة بوشناق الجزائر عام 1723م ، بينما لم تصل عائلة بكري إلا عام 1770م ، أسس ميشال بكري شركة تجارية نجحت في مد نفوذها وانظم نفتالي لهذه الشركة الشركة عام 1797م ، ومع مرور الوقت أصبحت هذه الشركة تهيمن تجاريا وماليا على كامل الجزائر .

[1] صالح عباد : المرجع السابق ، ص 189 .

[2] المرجع نفسه ، ص 190 .

[3] محمد داده : « لمحات عن يهود الجزائر » ع 21 – 22 مارس و جوان ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر ، ص 221 .

وهناك قضية هامة تسببت في إنهاء الحكم العثماني في الجزائر ويتمثل في قضية الديون التي أقرضتها الجزائر للحكومة الفرنسية عام 1796م بدون فائدة والتي قدرت بمليون فرنك لشراء الحبوب من الجزائر في الوقت الذي كانت فيه الأسواق الأولية مغلوقة في وجه التجارة الفرنسية، وكانت المبادلات في بادئ الأمر تتم بطريقة مباشرة إلا أن فرنسا غيرت فيما بعد طريقة الدفع ولجأت إلى توسيط بكري و بوشناق اللذان تحصلا على أهم امتياز بالجزائر عام 1824 حق شراء وبيع الحبوب من الجزائر ليقوما بدفع الثمن بدلها إلى الحكومة الجزائرية، وكان بكري و بوشناق يقدمان كل أنواع التسهيلات لفرنسا مما أدى إلى تراكم الديون الفرنسية وتماطل فرنسا في تسديدها.[1]

ولما كانت الحكومة الفرنسية تسعى للحصول على الموارد الغذائية من الجزائر لتلبي احتياجات جيشها الذي كان يستعد آنذاك للحملة ضد مصر والذي اعتبرها نابليون فتحا فقد اقترح قنصلها بالجزائر (مولتيدو MOLTIDO) على فرنسا تسديد ديونها فطلبت فرنسا من اليهود تقديم فواتير ديونهم نظرا لتوتر العلاقات الجزائرية الفرنسية بسبب الحملة على مصر 1798م[2]، ولما تحسنت العلاقات الجزائرية الفرنسية طلب " تاليران " من حكومته تصفية ديون اليهود التي قدرت بـ: 7.942.992 فرنك فرنسي إلا أن ذلك لم يتم بسبب توتر العلاقات بين البلدين، ورغم أن الدولتان أبرمتا معاهدة في 25 ديسمبر 1801م نصت على ضرورة تسديد فرنسا لديونها لليهود إلا أن فرنسا لم تلتزم بما جاء في هذه المعاهدة و تماطلت في القضية[3]، وقد

[1] أبوا القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري (16 – 20م) ، ج2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985م ، ص 16 .

[2] أرجمند كوران : المرجع السابق ، ص ص 19 ، 20 .

[3] محمد زروال : العلاقات الفرنسية الجزائرية (1790 – 1836 م) ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر ، 1980 ، ص 116 .

أصدر نابليون الأوامر إلى حكومته بشأن مراجعة ديون اليهود التي قدرت آنذاك بـ: 8.151.062 فرنك إلا أن هذه القضية أجلت بسبب انشغال فرنسا بحروب القارة الأوربية [1]

كما أن الجزائر عرفت في تلك الفترة اضطرابات عنيفة ، باعتبار أن الداي مصطفى كان متواطئا مع اليهود الذين قاموا باحتكار التجارة وتصدري الحبوب في الوقت الذي كانت فيه الجزائر تعاني القحط وقلة المواد الغذائية مما أدى إلى نشوب ثورة على الداي واليهوديين .[2]

ففي يوم 28 جوان 1805 وبينما كان بوشناق خارجا من قصر الداي إنقض عليه أحد الإنكشارية فأراده قتيلا قائلا: " تحية إليك ياملك الجزائر " ولما سار إليه الجند قال لهم " لقد قتلت اليهودي فهل أنتم من كلاب اليهود " فتركوه لشأنه، وقد لقي الداي نفس مصير بوشناق، كما هاجرت عائلات يهودية كثيرة خوفا من القتل والنهب، ففي 01 جويلية 1805 هاجرت نهائيا من الجزائر 100 عائلة يهودية إلى تونس و 200 عائلة إلى ليفورنا في 10 جويلية 1805.[3]

وفي مطلع القرن التاسع عشر أثيرة قضية الديون من جديد، حيث طلب الداي حسين (1818-1830) من الحكومة الفرنسية بتسديد الديون التي كانت بذمتها، ولكن فرنسا تماطلت في الرد بل اتخذتها ذريعة لحصار الجزائر واحتلالها، وبالتالي فاليهود كانوا سببا في توتر العلاقات الجزائرية الفرنسية كما ساهموا في إضعاف البلاد من الداخل قبل أن يهاجمها الفرنسيون من الخارج.[4]

---

[1] جلال يحي : التاريخ الأوربي الحديث و المعاصر من الحرب العالمية الأولى ، ج2 ، المكتب الجامعي الحديث ، (د ، م) ،

[2] يحي بوعزيز : علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا (1500 – 1830م) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1980 ، ص 116 .

[3] محمد داده : المرجع السابق ، ص ص 231 ، 232 .

[4] صالح فركوس : المرجع السابق ، ص 137 .

2–الأوضاع الاقتصادية

أ – القطاع الزراعي :

تميزت الفترة الأخيرة من الحكم العثماني في الجزائر بقلة المردود الزراعي الذي كان لا يلبي احتياجات السكان المحلية، ومرد ذلك إلى جملة من العراقيل حالت دون نمو وتطور الزراعة، حيث أن الضرائب كانت تمثل المصدر الرئيسي لدخل الدولة بعد تراجع غنائم الجهاد البحري، فكانت بعض هذه الضرائب تستخلص في (القمح والشعير،التين ، الزبدة...) وبعضها الآخر يستخلص نقدا وكانت هذه الضرائب تزداد كمية ونوعا، فكلما كانت المحلة قوية برهن فرسان المخزن عن جديتهم ومهارتهم، وكان لا يراعي في جلب هذه الضرائب وضعية الفلاحين[1] الأمر الذي جعلهم يتخلون عن مزارعهم وأراضيهم ويلجؤون إلى الجبال فرارا من جباة الضرائب، وفي هذا الصدد يقول القنصل الأمريكي: «... البايات وحكام الإقليم هم المسؤولون عن جمع الضرائب بواسطة أعوانهم من العساكر والشرطة يستحوذون على كل ما يقع تحت أنظارهم من أموال الشعب، وهذا الظلم الذي لا يطاق، جعل الناس يهجون البلد ويتركون السهول الخصبة ليلجأوا إلى الجبال ويسكنوا قمما لا سبيل لوصول الأتراك وأعوانهم إليها إلى أطراف الصحراي » ،كما أن أغلب المزروعات وبالخصوص القمح والشعير كانت من المزروعات الشتوية التي تعتمد على ما جاءت به السماء، وحيث أن الجزائر عرفت في هذه الفترة سنوات الجفاف لا يكاد يجمع فيها الفلاح ما زرعه.[2]

ولم يكن نشاط الفلاحين مقتصرا على الزراعة فحسب بل شمل أيضا تربية الحيوانات كالأبقار والماعز والخيول وفي هذا يقول شالر: «... فإننا نجد هنا جميع أنواع الحيوانات، الدواجن

[1] ناصر الدين سعيدوني ، و المهدي بوعبدلي : المرجع السابق ، ص ص 32 ، 33.

[2] وليام شالر : المصدر السابق ، ص 59 .

بكثرة بما في ذلك الفرس الجمل والثور والجمل ذو السنامين والحمار والغنم والبغل والماعز، والخيول العربية التي تتمتع بشهرة عالية [1]

وهذا وإن تربية الحيوانات تلائم عدم الاستقرار وتمكن أهل الريف من أن تتهرب من الضرائب التي كان يفرضها الأتراك على المزارعين والتي كانت تأخذ عينا وكان اهتمام سكان الأرياف بتربية الحيوانات قد جعل المنتوجات الحيوانية تفيض من الاستهلاك بل وتصدر كميات منها إلى الخارج.».[2]

وقد قدرت الإحصائيات الأولى للجيش الفرنسي عدد الحيوانات في السنوات الأخيرة من الحكم العثماني بـ: 6.850.205 رأس ماعز و:338.490 رأس غنم و: 10.317.738 رأس بقر و:109.096 رأس بغل، وإلى جانب هذه الحيوانات كان سكان الضواحي يقومون بتربية النحل وإنتاج كميات كبيرة من العسل تفيض من استهلاك السكان ويصدر منه جزء إلى الخارج.[3]

ورغم وفرة الثروة الحيوانية إلا أنها كانت تعاني من بعض المشاكل مثل الجفاف وقلة العناية اللازمة بالحيوانات وتفشي الأمراض .[4]

بالإضافة إلى مشاكل الضرائب فمثلا باي التيطري استولى في حملته على قبيلة الأرباع عام 1825 على 10.700 جمل بيعت في مكانها للقبائل الحليفة، كما أن هذا الباي في إحدى حملاته على أولاد مختار الشراقة عام 1526 على 500 جمل و4.000 خروف، وخلاصة القول أنه كان بإمكان القطاع الزراعي أن يلبي حاجيات السكان المحلية ويتعدى ذلك بالتصدير إلى

[1] علي عبد القادر حلمي : مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م ، ط1 ، دار الفكر الإسلامي ، الجزائر ، 1972م ، ص 294 .

[2] علي عبد القادر حلمي ,المرجع السابق ، ص 298 .

[3] ناصر الدين سعيدوني ، و المهدي بوعبدلي : المرجع السابق ، ص 61 .

[4] عبد القادر حلمي : المرجع السابق ، ص 298 .

الخارج نظرا للإمكانيات الزراعية والمناخية وجودة التربة، لكن العوامل البشرية التي ذكرناها حالت عائقا في تطور نمو النشاط الزراعي، فضلت الزراعة موسمية معيشية لا ترق إلى الزراعة الكثيفة.[1]

ب – القطاع الصناعي:

تميزت الصناعة في الفترة التي ندرسها بالبساطة وقلة التنوع واقتصرت في أغلبها على المنتوجات، نظرا لوفرة المواد الخام كالصوف والحرير وكانت لكل منطقة صناعتها الخاصة، فاختصت مدينة تلمسان بصناعة الصوف والأغطية، كما كانت أجود الزرابي تنتج في قلعة بني راشد والتي تميزت بطابع محلي عريق وأسلوب أندلسي راق وأشكال تركية جميلة، واختصت مدينة الجزائر بصناعة ما لبثت أن انحطت نوعيتها وقل المشتغلون بها، مما سمح للشواسي التونسية أن تعزز الأسواق الجزائرية نظرا لجودتها العالية بالإضافة إلى صناعة الأحزمة الصوفية والحريرية والمناديل وصناعة الجلود من سروج الأجمة والمحافظ .[2]

وكانت مدينة قسنطينة أهم مركز لهذه الصناعة بالإضافة إلى صناعة النحاس والحلي والأحجار الكريمة في كل من تلمسان، قسنطينة ومدينة الجزائر إلا أن هذه الصناعات كانت محتكرة من اليهود، وقد عرفت الصناعة مشاكل أعاقت تطورها نذكر منها:[3]

- مضايقة الحكومة التركية للصناعة المحلية بالضرائب المتنوعة وقد بلغت الرسوم نسبة 10% من ثمن البضاعة وقلة الاستهلاك.[4]
- قلة الاستهلاك المحلي نظرا لانخفاض القدرة الشرائية بانخفاض دخل سكان المدينة.
- بالإضافة إلى أن اليهود احتكروا أهم الصناعات كالجوهرات والساعات والزجاج كما كان الأسرى المسيحيون والمتطوعين الأوربيين يتولون صناعة السفن والمدافع وتحضير

[1] ناصر الدين سعيدوني ، و المهدي بوعبدلي : المرجع السابق ، ص 370 .

[2] أبو القاسم سعد الله : محاضرات في تاريخ الجزائر (بداية الاحتلال)، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982 ، ص 75.

[3] ناصر الدين سعيدوني : المرجع السابق ، ص ص 69 ، 70 .

[4] عبد القادر حلمي : المرجع السابق ، ص 299 .

البارود فهذه الصناعات ظلت على أهميتها غريبة على الجزائريين وفي أواخر الحكم العثماني تناقص عدد الأسرى وأنسحب المتعاونين معهم تعطلت الصناعة، كما انعكس التدهور في القطاع الزراعي والحيواني على الوضع الصناعي حيث قلت هذه المواد الأولية وارتفعت أسعارها. [1]

ج – القطاع التجاري

عرفت الجزائر نوعان من التجارة، داخلية وخارجية

* تجارة داخلية : كان يقوم بها الأهالي في معظم الأحيان كما كان يقوم بها اليهود، فكانوا يعرضون خدماتهم على الأهالي، بل يحملون البضائع حتى تحوم الصحراء إذا اقتضى الأمر ذلك، فهم أشبه ما يكونوا بالدكان المتنقل وكانت اتجاهات هذه التجارة نشيطة بين الشمال والجنوب وضعيفة بين الشرق والغرب.[2]

* تجارة خارجية : كان يمارسها في أغلب الأحيان الأجانب وخاصة اليهود وبعض الأهالي، ولبيان قيمة الصادرات والواردات للجزائر أواخر العهد العثماني نستعرض قائمة للتجارة الخارجية وردت في كتاب وليام شالر الذي نقلها بدوره من سجلات التجارة بمدينة الجزائر 1822م.

ويلاحظ على جدول شالر للواردات والصادرات:

- أن بريطانيا كانت تحتل الصدارة للواردات في فترة أخذت فيها العلاقات التجارية والسياسية تتوتر بين الجزائر وفرنسا، ويظهر أن مدينة الجزائر قللت من المعاملات مع فرنسا في أواخر العهد التركي لأسباب المماطلة، إذ أن الحكومة الفرنسية كان عليها ديون ثقيلة للجزائر مطلع القرن التاسع عشر ظلت تتهرب من دفعها.

[1] ناصر الدين سعيدوني ، و المهدي بوعبدلي : المرجع السابق ، ص ص 62 ، 63 .

[2] عبد القادر حلمي : المرجع السابق ، ص 317 .

- أن مجموع قيمة الواردات بلغت 1.200.000 دولار إسباني ومجموع قيمة الصادرات بلغت حوالي 237.000 دولار إسباني مما يعني أن الميزان التجاري لمدينة الجزائر سجل عجزا قدره 927.000 دولار إسباني سنة 1822م[1] .

ويرجع ذلك إلى ضعف الأسطول التجاري وارتباط الجزائر باتفاقيات مع الدول الأوربية الأخرى ويقول عزيز سامح ألتر : « ...أصبح السوق المغطى مهجورا ولم يعد يسمع صوت الدلالين الذين كانوا يبيعون الغنائم والأسرى بعدما كانت في السابق مدينة ذات نشاط وحيوية، فقد كانت أموال المسيحيين تتدفق عليها بكميات لا تحصى أما في هذه الفترة فقد أصبحت حزينة يئسة وهجرتها البهجة. ».[2]

إضافة إلى كثرت الواردات الجزائر إذا ما قورنت بصادراتها واحتكار الدولة لتجارة المواد الأولية من الحبوب والأصواف والجلود وهو ما انعكس سلبا على البلاد.

كما ساهم اليهود إلى حد كبير في انهيار التجارة الجزائرية وتحصلوا على أرباح وفيرة على حساب الأهالي وذلك لكونهم قاموا بدور الوساطة في كل العمليات التجارية، كما أنهم قاموا بتقديم القروض والضمانات بفوائد خيالية مستغلين في ذلك عدم وجود البنوك، وقد عملت الجزائر بتغطية العجز بالتوجه إلى التجارة مع بلدان إفريقيا الزنجية وقد كانت القوافل المتجهة من الجزائر نحو الجنوب الغربي تستغرق شهورا عديدة لا تقل عن فصل من فصول السنة وتتعرض لمشاكل أهمها هجمات اللصوص وقطاع الطرق وقلة المياه ودفع الضرائب على المرور والزيادة فيها باستمرار .[3]

---

[1] المرجع نفسه ، ص 311 .

[2] عزيز سامح ألتر : الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، ترجمة : علي عامر ، ط1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1919م ، ص 414 .

[3] يحي بوعزيز :« طرق القوافل و الأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوربيون خلال القرن التاسع عشر » ، مجلة الثقافة ، ع 59 ، من سبتمبر إلى أكتوبر ، الجزائر ، ص 19 .

3–الأوضاع الاجتماعية

يذكر حمدان خوجة في كتابه المرآة الصادر سنة 1833م أن عدد سكان الجزائر كان عشرة ملايين نسمة لكن الإحصائيات الفرنسية تنفي هذا الرقم، فحسب إحصاء 1856 بلغ عدد سكان الجزائر 2.3 مليون نسمة فقط وأيا كان عدد سكان الجزائر فإن التركيبة الاجتماعية للمجتمع الجزائري تميزت بالتنوع والثراء، ويمكن تقسيم المجتمع الجزائري إلى عدة طبقات، فحسب الجنس ينقسم المجتمع الجزائري إلى ذكور وإناث شأنه شأن بقية سكان العالم وكان عدد الرجال يفوق عدد النساء، ويرجع ذلك إلى أن أغلب المهاجرين والأسرى كانوا رجالا، كما أن النساء كن لا يختلطن بالرجال ومرد ذلك إلى تعاليم الإسلام القيمة. [1]

أما إذا اعتمدنا أساس العرق فإن المجتمع الجزائري كان متباين الأصول إذ كان مؤلفا من الأهالي والأتراك والذين شكلوا طبقة الأسياد بيدهم سلطة البلاد ولهم امتيازات لم تكن لغيرهم ولهم الأولوية في كل شيء تجمعت بأيديهم ثروة البلاد، واليهود وهي الطبقة التي كانت تنافس في الثراء طبقة الأتراك بل ومنهم من تفوق ثروته ثروة الداي نفسه، ثم طبقة المهاجرين الأندلسيين وطبقة الكراغلة وطبقة العبيد المسيحيين وطبقة الزنوج، وبالنسبة للكراغلة فقد كانوا يطمحون إلى

[1] صالح عباد : المرجع السابق ، ص 354 .

الارتقاء إلى المرتبة الأولى في المجتمع لكن العثمانيين أصلا منعوهم واعتبروا عنصر كرغلي* يشكل خطر على مصالحهم تحكم انتمائهم العاطفي إلى أهالي الجزائر.[1]

كما يمكن تقسيمهم إلى سكان مدن وأرياف، وأهم المدن الجزائرية في العهد التركي هي الجزائر، قسنطينة، وهران، تلمسان، عنابة، معسكر، مازونة، المدية، البليدة، بسكرة، مستغانم، المسيلة وتبسة حيث نجد في المدن الأتراك و الكراغلة كما نجد اليهود موزعين في أغلب المدن والمهاجرين الأندلسيين والعبيد السود والعبيد المسيحيين أما بالنسبة للأرياف فقد هيمنة الحياة القبلية سواء في الصحراء أو في السهول العليا أو في المناطق الجبلية ونجد أن الأرياف مكونة من قبائل الأجواد وقبائل المرابطين قبائل المخزن وهي كلها لها امتيازات متفاوتة وقبائل الرعية* والقبائل التي لا تخضع لسلطة الأتراك.[2]

لم يهتم الأتراك بميدان التعليم بل تركته للعامة ولم تشجع على الثقافة ولم تهتم بدور التعليم، حيث انخفض مستوى التعليم في كامل القطر الجزائري، في بجاية وتلمسان وتيهرت وكانت أمهات المدن التي اشتهرت بالعلم والعلماء في العهد الإسلامي، وقد أدى عم اهتمام الأتراك بميدان العلم إلى انحدار المجتمع في هوة الخرافات والطرفية، فانتشرت الخرافات والبدع والدجل والدروشة

* كلمة تطلق على المولود من أب تركي وأم جزائرية .

[1] عبد القادر حلمي : المرجع السابق ، ص 258 .

* وهي القبائل الخاضعة للسلطة العثمانية و التي تخضع لجميع الضرائب المباشرة و الغير مباشرة .

[2] صالح عباد : المرجع السابق ، ص 362 .

والتي تبلورت في التوسلات بالأضرحة والقبور فكان المجتمع خاملا قريبا إلى عالم الأموات منه إلى عالم الأحياء.[1]

وتجمع المصادر على تناقص عدد سكان الجزائر أواخر العهد العثماني ويرجع إلى انتشار الأمراض والأوبئة والاضطرابات التي وقعت بين الإنكشارية واليهود والثورات الداخلية وضعف البحرية وانخفاض عدد المجندين.[2]

أ–الأوبئة : حيث كانت الجزائر في مطلع القرن التاسع عشر موطنا للأوبئة الفتاكة المختلفة كالكوليرا والتيفوس والجدري والسل وأهم الأوبئة هو الطاعون* وقد انتقلت هذه الأوبئة موطنها الأصلي بالمشرق إلى الجزائر عن طريق البحار والتجارة والحجاج والطلبة الوافدين، وقد ساعد على توطن هذه الأوبئة انتشار المستنقعات وعدم استصلاحها وضعف الجانب العلمي وعدم وفرة الأدوية حيث كثرة الأوبئة، وفتكت بالمجتمع الجزائري فمثلا وباء عامي (1817–1818) قضى على أكثر من 14000 نسمة في مدينة الجزائر وحدها .[3]

ب–الاضطرابات الداخلية : التي وقعت في مطلع القرن التاسع عشر والتي أدت إلى مقتل الداي مصطفى وهجرة 100 عائلة يهودية إلى تونس و 200 عائلة أخرى إلى ليفورن بالإضافة إلى الثورات التي عمت الأرياف الجزائرية والتي نتج عنها هلاك عدد كبير من السكان.[4]

---

[1] عبد القادر حلمي : المرجع السابق ، ص 270 .

[2] محمد العربي الزبيري : الرجع السابق ، ص ص 48 ، 49 .

* وكذلك وباء مدينة الجزائر حيث يذكر مولاي بن لحميسي عن رحلة الزياني : « أنا النازل بها بفضل النزول الخيام هروبا من العدوى وكان كل يوم يموت مئات الناس .

[3] ناصر الدين سعيدوني « الأحوال الصحية و الوضع الديمغرافي في الجزائر أثناء العهد التركي » ، مجلة الثقافة ، ع 92 ، من مارس إلى أفريل ، الجزائر ، 1986 م ، ص 105 .

[4] الغالي العربي : المرجع السابق ، ص 232 .

ج–ضعف البحرية الجزائرية: وقد انخفض عدد السكان بسبب ضعف البحرية نظرا لقلة الخيرات والتي كانت تدر عليهم كما قل عدد المسيحيين الذين كانوا يمثلون نسبة كبيرة من عدد المسيحيين الذين كانوا يمثلون نسبة كبيرة من عدد السكان حيث تناقص عددهم إلى أن بلغ عددهم سنة 1930 حوالي 122 أسيرا.[1]

د–الكوارث الطبيعية : لقد أثرت الكوارث الطبيعية مثل الزلازل والجفاف وزحف الجراد على الوضع الديمغرافي، فمثلا زلزال البليدة الذي استمر من 02 إلى 06 ماي 1825 والذي راح ضحيته 7000 فرد، كما نتج عن تعاقب سنوات الجفاف والقحط وزحف أسراب الجراد كثرة المجاعات مثل مجاعة 1800م والتي اضطر فيها الداي مصطفى إلى استيراد الحبوب من موانئ البحر المتوسط وكذا مجاعة 1819م .[2]

هـ–الحملات الأوربية: وهي الأخرى كانت سببا في تناقص عدد سكان الجزائر مثل حملت اللورد إكسموث سنة 1816 والتي قتل فيها 1500 من السكان وأطلق سراح عدد كبير من الأسرى .

وفي الأخير ومن خلال استعراضنا للأوضاع السياسية والعسكرية والاجتماعية يظهر لنا أن الأوضاع كانت مهيأة للاحتلال سنة 1830م.

وقد كانت قلة وصعوبة المواصلات سببا من أسباب انهيار التجارة، فكان الانتقال من الجزائر إلى قسنطينة يستغرق 48 ساعة سيرا متواصلا عن طريق قلعة بني عباس ببجاية و104 بسور الغزلان، وكان السفر بين الجزائر ووهران لا يقل عن ثلاثة أيام رغم سهولة التضاريس وحراسة

[1] ناصر الدين سعيدوني : الأحوال الصحية و الوضع الديمغرافي في الجزائر أثناء العهد التركي ، المرجع السابق ، ص 113 .
[2] ناصر الدين سعيدوني ، و المهدي بوعبدلي : المرجع السابق ، ص 106 .

قبائل المخزن كما نجد ضعف الإنتاج المحلي وقلة الأسواق الاستهلاكية فهذا كله امتص حيوية البلاد التجارية فالقطاع التجاري بنوعيه كان متدهورا إلى حد كبير.[1]

4–الأوضاع العسكرية

إنه من الصعب تحديد حجم الأسطول الجزائري في العهد التركي وذلك في غياب إحصائيات دقيقة تسمح بتتبع تطوره والحركة السريعة التي عرفها نتيجة أعمال القرصنة والمعارك التي خاضها والتي كادت أن تؤدي إلى استئصاله .[2]

وكانت النواة الأولى لهذا الأسطول السفينتان اللتان جاء على متنهما عروج و إخوته وبحارته من المشرق في بداية القرن السادس عشر وفي سنة 1509 أصبح تحت تصرفه ثماني قطع بحرية، وفي سنة 1516م وظف 16 قطعة بحرية للانتقال من جيجل إلى الجزائر، وتذكر بعض المصادر أن عدد قطع الأسطول قد بلغ 60 قطعة سنة 1530 وقد عرف الأسطول الجزائري تطورا نوعيا في مطلع القرن السابع عشر نتيجة السفن المستديرة، أدخلت إليه بفضل القرصان الفنلندي سيمونادونسا من جهة وبفضل الهجرة الأندلسية من جهة أخرى واشتغال الدول الأوربية بحروب نابليون (1805-1815م).[3]

غير أن هذا التطور والانتعاش ما لبث أن تدهور بسبب جملة من العوامل نوجزها

---

[1] المرجع نفسه ، ص 45 .

[2] صالح عباد : المرجع السابق ، ص ص 323 ، ص 324 .

[3] عبد الرحمن جيلالي : المرجع السابق ، ص 452 .

فيما يلي:

- تدهور صناعة السفن في الجزائر لحصول اليهوديين بكري و بوشناق على حق احتكار الخشب 1799م وحق استغلال الغابات الواقعة بين بجاية والقالة فلم يقتنع اليهوديان بالعريضة التي كانت لهما لقاء نقل الخشب إلى دور صناعة السفن والتي كانت 20% ولما رفضت الحكومة دفع هذه النسبة، عمدا إلى دفع أجور زهيدة للعمال وامتنعا عن نقل الخشب فبقى هذا الأخير مكدسا ومعرضا للتلف على الشواطئ

- تعرض الأسطول إلى ضربات موجعة خلال المعارك البحرية التي خاضها ضد الحملات الأجنبية مثل الحملة الأمريكية 1815م والإنجليزية 1816م ومعركة نافارين جنوب اليونان في 20 أكتوبر 1827 والتي كانت بمثابة ضربة قاضية بالنسبة للأسطول الجزائري.

- تعرض الأسطول إلى ضربات موجعة خلال المعارك البحرية التي خاضها ضد الحملات الأجنبية مثل الحملة الأمريكية 1815م والإنجليزية 1816م ومعركة نافارين جنوب اليونان في 20 أكتوبر 1827 والتي كانت بمثابة ضربة قاضية بالنسبة للأسطول الجزائري.[1]

أما ضعف الجانب العسكري فيعود إلى:

- فساد الجيش الإنكشاري بتغير طريقة التجنيد في الفترة الأخيرة من الحكم العثماني حيث كان باب التجنيد مفتوحا للمرتزقة واللصوص واليهود واليونانيين بدلا من اختيار وتجنيد الرجال النزهاء وهو ما تسبب في انحراف الإنكشارية عن مهمتهم الأساسية إلى جمع الأموال وإحداث الاضطرابات في سبيل الحصول عليها فأصبحوا مصدر فوضى للبلاد.[2]

تناقص عدد الجيش في بداية القرن التاسع عشر فقد أشار يوكان في تقريره عن الجزائر بأن قوات الداي في حالة السلم تقدر بـ 15 ألف منها 10 آلاف تركي و 5 آلاف كرغلي أما عن

[1] عبد الرحمن الجيلالي : المرجع السابق ، ص 452 .

[2] حمدان بن عثمان خوجة : المرجع السابق ، ص 452 .

قواته في حالة الحرب 60 ألف على الأكثر وقد تناقص عدد الجيش إلى أن بلغ سنة 1830 بأقل من 2.500 إنكشاري قادر على حمل السلاح، ويرجع هذا إلى الأسباب التالية:[1]

- قلة الجنود المتطوعين من المشرق والذين كان عددهم في الفترة (1800-1825) بـ 8.533 متطوعا.
- انتشار الأمراض والأوبئة والتي أهلكت عدد كبير من الجنود فقط.
- سعى بعض الدايات إلى التخلص من الإنكشارية مثل الداي علي خوجة والذي حاول القضاء على عصيان الإنكشارية واستبدالهم بجند محلي.
- أهكت قوات الجيش الثورات الريفية والتي انتشرت أواخر القرن التاسع عشر.[2]

[1] ناصر الدين سعيدوني ، و المهدي بوعبدلي : المرجع السابق ، ص 106 .

[2] صالح عباد : المرجع السابق ، ص 194 .

الفصل الثاني

1- الصراع الإنجليزي الفرنسي وأثره على الجزائر
2- حملة الولايات المتحدة على الجزائر 1815م
3- الحملة الإنجليزية الهولندية على الجزائر 1816م
4- حملة الإنجليز على الجزائر 1824م

الإعتداء الأجنبي

اشتدت الأطماع الأجنبية* الاستعمارية على الجزائر في مطلع القرن 19 ، نظرا لما كانت تمر به هذه الأخير من ضعف في جميع الميادين السياسية و العسكرية و الاقتصادية و الاجتماعية ، ونظرا لموقعها الاستراتيجي الهام ، فقد اشتد الصراع بين فرنسا و انجلترا من أجل الحصول على امتيازات في سواحلها ، كما دخلت الولايات المتحدة كطرف ثالث في المنافسة [1] وقد قامت هذه الدول بشن حملات عسكرية ضد الجزائر لتحقيق أطماعها مما أسهم إلى حد كبير في انهيار الحكم العثماني في الجزائر .

1-الصراع الانجليزي الفرنسي و أثره على الجزائر

لقد كانت العلاقات الجزائرية الفرنسية حسنة على العموم وذلك ابتداء من عهد الثورة الفرنسية 1778م ، إذ عمد قادتها على توطيد علاقتهم مع حاكم الجزائر ، كما أن الجزائر قدمت مساعدات مالية لفرنسا التي كانت أزمة اقتصادية ، كانت فرنسا دائما تحاول تحريض حكام الجزائر ضد الانجليز بهدف إبعادهم عن مناطقها الحيوية بشمال إفريقيا ، كما أدرك الانجليز أن التقارب الفرنسي الجزائري ليس في صالحها ومن ثم فإنهم حاولوا تعكير صفو العلاقات بين البلدين مستعملين عدة أساليب منها أن طلبوا من الداي قطع علاقاته مع الفرنسيين ، وعد تزويد موانئهم بالمواد الغائية ، لكن الداي رفض ولما قامت فرنسا بحملتها على مصر 1798 ، استغل الانجليز الظرف لصالحهم وطلبوا من السلطان العثماني أن يؤمر الداي مصطفى بقطع علاقاته بفرسنا و الدخول في حرب ضدها ، مما اضطر الداي مصطفى إلى إعلان الحرب على فرنسا تحت ضغط الرأي العام الداخلي وإلحاح السلطان العثماني وذلك في ديسمبر 1798 م.[2]

---

* أنظر الخريطة رقم 3،ص79.

[1] صالح فركوس : المرجع السابق ، ص ص 132 ، 133 .

[2] جمال قنان : معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619 – 1830م) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1987 ، ص 192 .

ورغم إعلان الجزائر الحرب ضد فرسنا فإن الداي مصطفى استقبل القنصل الفرنسي في الجزائر " ديبوا تانفيل " وانفق الطرفان على وقف كل الأعمال العدائية بين البلدين وهو الاتفاق المعروف بـ " الهدنة غير المحددة " وذلك في 18 جويلية 1800 في انتظار توقيع صلح جديد بينهما ، وكان رد فعل الانجليز قويا وسريعا ضد هذه الهدنة التي أبرمتها الجزائر مع فرنسا ، فأسرع الأميرال الانجليزي : كيت ، Kith " بإرسال رسالة طويلة إلى الداي عبر فيه عن تعجبه من موقف الحكومة الجزائرية التي استقبلت بحفاوة وتكريم مبعوث الأمة الفرنسية التي هي أكبر عدو للمسلمين [1]، وطلب من الداي إلغاء الهدنة التي عقدت ، وطرد المبعوث الفرنسي إلى بلده ، إلا أن الداي رفض ، وبعد أشهر قليلة عادت العلاقات الفرنسية الجزائرية إلى مجراها الطبيعي ، وتم إبرام معاهدة سلم بين البلدين يوم 17 سبتمبر 1801 م.[2]وتلي ذلك طرد الداي مصطفى للقنصل الانجليزي " فالكون " من الجزائر ، وكرد فعل على سلوك الداي هذا وصل الأسطول الانجليزي بقيادة الأميرال " نيلسوف – NelsoPh " إلى الجزائر في جانفي 1804م طال إرجاع القنصل الفرنسي المخلوع بالقوة ، إلا أن الداي لم يتراجع عن موقفه ، وقد سعى القنصل الفرنسي تانفيل من جهته إلى استغلال هذا التوتر و الوصول به إلى تأزم أكثر ، لكن السلطات الجزائرية حصرت الأزمة في إطارها الثنائي .[3]

ولما أدرك القائد الانجليزي أن الأهالي مستعدون لمحاربته ، وافق على منح الداي مهلة للتشاور مع الباب العالي بشأن المسائل التي بقية معلقة ،كما وضع البارجة الانجليزية تحت تصرف الداي تتولى نقل سفيره وهداياه إلى القسطنطينية بل أن اللورد بادل الداي سفه ، وتلقى منه هدية تمثلت في جواد وعدد من الحيوانات فيبدوا أن كل شعور بالعداوة بين الطرفين قد اختفى ، إلا أن هذا الصلح الذي أبرمه الأميرال الانجليزي مع الداي أثار سخط الدول الأوربية التي اهتمت انجلترا أنها لا تحمل الأمن إلا من أجل مصالحها ، ولا تهتم بالأضرار التي قد تلحق الآخرين في سياستهم مع الجزائر ،كما كانت الحكومة الانجليزية نفسها غير راضية عن النتائج التي حققتها هذه الحملة ، لأنها لم تحقق أهدافها لذلك قررت تجهيز حملة ثانية أكثر فعالية ضد الجزائر[4].

---

[1] جمال قنان : معاهدات الجزائر مع فرنسا (1616 – 1830م) ، المرجع السابق ، ص 195 .

[2] المرجع نفسه ، ص 10 .

[3] جمال قنان : العلاقات الفرنسية الجزائرية (1790 – 1836م) ، المرجع السابق ، ص 171 .

[4] وليام شارل : المصدر السابق ، ص ص 154 ، 155 .

وبناء على ذلك القرار فقد أقلع الأسطول الانجليزي بقيادة اللورد " أكسموث " من مرفأ " بيلموث " ، يوم 28 جويلية 1816 ، وعندما وصل جبل طارق انظم إليه الأسطول الهولندي بقيادة " فان كابلان VOn cappelen " ، وانطلق الأسطول المتحالف من جبل طارق في 14 أوت ووصل الجزائر في 17 أوت 1816م ، بعد أن قدم النقيب " ورد ward " و الضابط " زيقل " تقريرا عن تحصينات مدينة الجزائر مما ساعد أكسموث في حملته على الجزائر .[1]

ولما وصل الأسطول المتحالف ميناء الجزائر ، وجه أكسموث إنذار إلى الداي وقد ورد في تقرير الداي عمر الذي سلمه رئيس ميناء الجزائر " القبطان علي " إلى الباب العالي بشأن وصول الأسطول الانجليزي الهولندي مدينة الجزائر ، وقد ظهروا أمام ميناء الجزائر بأسطول يتألف من ثلاثين إلى أربعين باخرة ، وقد دخلوا الميناء رافعين علما أبيضا وسلموا لنا رسالة طالبين إثرها الرد في ظرف ساعة ، مع إطلاق صراح الأسرى المسيحيين .[2]

استغلت الحكومة الجزائرية تلك الظروف ، وقامت بسحب المؤسسات التجارية الفرنسية على السواحل الجزائرية ومنها انجلترا في 02 جانفي 1807 مقابل إتاوة سنوية قيمتها ربع فرنك فرنسي ، أي بزيادة قرابة ثلث المبلغ الذي كان يدفعه الفرنسيون [3] وبذلك احتدم الصراع بين فرنسا وانجلترا حول تلك المؤسسات .

وتحدث نابليون عن إرسال حملة ضد الجزائر في معاهدة " تاليست " مع روسيا 1807 ، فنصت المادة الخاصة على : « أن مدن إفريقيا مثل تونس و الجزائر تحتل من طرف الفرنسيين وسيعطى السلم العام تعويضا لملوك صقلية وسردينيا ».[4]

وكان توتر العلاقات الجزائري الفرنسية في صالح الانجليز الذين استغلوا الظرف ، ولمدوا علاقتهم مع حاكم الجزائر ، ومما يثبت ذلك الرسالة الودية التي بعث بها ولي عهد انجلترا إلى الداي حاج علي (1809 – 1815م) عام 1812م ومما جاء فيها :" تلك الصداقة التي تقوم على المعاهدة التي تربط البلدين ،

---

[1] يحي بوعزيز : المرجع السابق ، ص 121 .

[2] وليام شالر : المصدر السابق ، ص 156 .

[3] جمال قنان : العلاقات الفرنسية الجزائرية (1790 – 1836م) ، المرجع السابق ، ص 252 .

[4] وليام سبنسر : الجزائر في عهد رياس البحر ، تعريب وتعليق : عبد القادر زبادنة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ن (د ، ت) ، ص ص 182 ، 183 .

ويؤكد للداي أنه سيحمي عاصمته بواسطة أسطوله ما دامت علاقات الصداقة قائمة بين الأمتين ...ويرجوا الداي أن لا يسمح لأعداء بريطانيا العظمى بالمساس بعلاقات التفاهم و الانسجام القائمة بين الأمتين .[1]

ورغم تطور العلاقات الودية بين الجزائر و انجلترا ، إلا أن الانجليز لم يعرفوا كيف يحافظوا على تلك العلاقات ، إذ قاموا بشن حملة عسكرية ضد الجزائر عام 1816 م بغرض تحطيم الأسطول الجزائري الذي عرف نوعا من الانتعاش خلال الحروب الأوربية ، فرأت فرنسا أن توتر العلاقات الجزائرية الانجليزية و فرصة مواتية لاسترجاع مؤسساتها التجارية في السواحل الجزائرية التي غابت عنها عام 1807 ، مما يفسر ذلك عدم تورط فرنسا في الصراع الذي احتدم بين الجزائر و انجلترا 1816 م ، ويتضح ذلك من خلال التعليمات التي أرسل بها وزير خارجية فرنسا إلى قنصل بالجزائر " دوفال " ومما جاء فيها :« إن البواخر و الجيوش التي تحت إمرة إكسموث قد أقلعت من انجلترا ومما لا شك فيه أنها توجه إلى الجزائر ، وعليه فإنه يجب عليكم أن تبقوا بعيدا عن المناقشات و الحوادث التي يمكن أن تكون الجزائر مسرحا لها في المستقبل .[2]»

وبذلك تمكنت فرنسا من استرجاع مؤسساتها التجارية من السواحل الجزائرية يوم 26 أكتوبر 1817م، وتجدر الإشارة إلى أن ذلك الصراع الذي نشب في الجزائر ، أدخل بالضرورة الجزائر في دائرة الصراع و أضعف إمكانياتها وذلك لأن فرنسا و بريطانيا استخدمتا مختلف الوسائل قصد إضعاف الجزائر على امتيازاتها في شمال إفريقيا.[3]

---

[1] وليام شالر : المصدر السابق ، ص 158 .

[2] عبد الجليل التميمي : بحوث ووثائق في التاريخ المغاربي (1816 – 1817م) ، ط1 ، الدار التونسية للنشر و التوزيع ، تونس ، 1، 1992 ، ص 238 .

[3] جمال قنان : دراسات في مقاومة الاستعمار ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر ، 1996م ، ص 264 .

2-حملة الولايات المتحدة الأمريكية على الجزائر عام 1815 م .

ظلت الولايات المتحدة الأمريكية تدفع ضريبة سنوية للجزائر منذ عام 1795م إلى غاية 1810م حيث توقفت عن دفع تلك الضريبة ، وذلك بسبب إدراكها لضعف الجزائر ، الأمر الذي تسبب في توتر العلاقات بين البلدين ، كما أن اليهود اقترحوا على الداي الاعتداء على السفن الأمريكية للحصول على مبلغ مالي كبير مقابل تجديد معاهدة السلم معها [1] .

ووقعت حرب بين البلدين سنة 1812م ، إلا أن الولايات المتحدة كانت منشغلة بحروبها مع انجلترا ، وبمجرد التصديق على معاهدة " غانت Ghant " ، قرر الكونغرس الأمريكي الذي لم يعد يطيق وإعلان الحرب على الإيالة الجزائرية .[2]

وإثر ذلك جهز فرقتان من الأسطول عهد بقيادتهما إلى الأميرال " وليام بيبريج " و الثانية بقيادة الأميرال " ستيفان ديكاتور" ، وغادر الأسطول الولايات المتحدة في اتجاه البحر الأبيض المتوسط 20 ماي 1815م ، وقبل أن يقلع الأسطول أصدر وزير الخارجية تعليمات إلى القائدين البحريين و السيد شالر بعقد الصلح مع الجزائر في وقت ممكن ، وإطلاق سراح الأسرى الأمريكيين في الجزائر وذلك بدون تعهد بدفع أي نوع من الضريبة ، ولكنها تعهد بتقديم هدايا للداي مرة كل سنتين ، وكانت التعليمات التي يحملها " ديكاتور " تقضي بأن يسعى لدى وصوله إلى جبل طارق لمعرفة المنطقة التي يعمل فيها الأسطول الجزائري ، وفي حالة ما إذا كانت بعض قطعه تعمل في المحيط الأطلسي أن يقوم بأسر تلك القطع أو تدميرها ، كما كلف " ديكاتور " بأن يدخل في المفاوضات مع الداي مباشرة بعد وصوله إلى الجزائر كما يجب أن تكون شروط الصلح مشرفة بالولايات المتحدة الأمريكية .[3]

---

[1] ألبريد يفو : الريس حميدو ، ترجمة : العربي الزبيري ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ، 1972م ، ص 90 .

[2] وليام شالر : المصدر السابق ، ص 141 . أنظر أيضا : صالح عباد : المرجع السابق ، ص 217 .

[3] المرجع نفسه ، ص 146 .

وصل أسطول " ديكاتور " إلى جبل طارق في 15 جويلية ، ومن هناك أبحر صوب مدينة الجزائر والتقى في طريقه إليها بباخرة جزائرية فضيقوا عليها ، فاستسلمت لهم بعد مقاومة أبداها هم طاقم الباخرة ، استشهد فيها الريس حميدو وثلاثون بحارة من رجاله [1]، حملوا بقية المسلمين أسرى إلى مراكبهم وبعد يومين من المعركة أسر الأمريكيين سفينة حربية ذات ساريتين " استديو " وسفينة " مشهودة " ، ثم أرسلت كلتا السفينتين إلى قرطاجة .[2]

وفي 29 جويلية 1815م وصل الأسطول الأمريكي ميناء الجزائر وأرادوا إجراء مفاوضات مع السلطات الجزائرية ، فصعد أمير البحر الجزائري البارجة الأمريكية وهناك أبلغه القائد الأمريكي خبر أسر السفينتين الجزائريتين ومقتل الرايس حميدو ، فتأثر أمير البحر الجزائري لهذه الفاجعة وتساءل عن شروط الصلح التي يريد الأمريكيون عرضها ، فجاء الرد رسالة وجهها الرئيس الأمريكي إلى الداي عمر (1817 – 1818 م) ، فقدمها ديكاتور إلى الداي و في جويلية 1815 توصل الطرفان إلى توقيع معاهدة صلح نصت على إلغاء الضريبة السنوية وإطلاق صراح الأسرى الأمريكيين في الجزائر ، ودفع تعويضة مقدارها عشرة آلاف دولار للاستيلاء على السفينة الأمريكية "إدوين" وغيرها من ممتلكات الأمريكيين في الجزائر ، كما نصت على طريقة معاملة الأسرى في حالة استئناف الحرب واعتبارهم أسرى حرب و ليسوا عبيدا ، وسعى الداي إلى استعادة السفينتين الأسيرتين ، وبعد أن ورد استجاب الأمريكيين لهذا الطلب وتم التوقيع على المعاهدة ، وتم تعيين شالر قنصلا للولايات المتحدة بالجزائر .[3]

---

[1] راي أوروين : العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب و الولايات المتحدة الأمريكية (1776 – 1816م) ، ترجمة : إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1978م ، ص 246 . أنظر أيضا : صالح عباد : المرجع السابق ، ص 218 .

[2] محمد الشريف الزهار : المصدر السابق ، ص 218 .

[3] راي أوروين : المرجع السابق ، ص 248 .

3-الحملة الإنجليزية الهولندية على الجزائر 1816م.

كانت معظم الدول الأوربية بالإضافة إلى الولايات المتحدة تدفع ضريبة سنوية إلى إيالة الجزائر أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر مقابل حرية الملاحة في حوض البحر المتوسط وحماية سفنها ، والواقع أن الدول الأوربية وقتئذ كانت تعيش في نزاع دائم بينها بسبب اختلاف المصالح وانشغالها بالحروب النابوليونية التي أنهكت قواها ، فلم تتمكن من اتخاذ إجراءات حاسمة ضد إيالة الجزائر .[1]

استغلت الجزائر تلك الظروف لتدعيم أسطولها البحري الذي بلغ مستهل القرن التاسع عشر ثلاثين قطعة حربية ، إلا أن ذلك الانتعاش لم يدم طويلاً ، وبعد تفوق الحروب الأوربية بدأ التدخل الأوربي يؤخذ شكلا صريحا وخاصة بعد اجتماع الساسة الأوربيون في مدينة فينا في أواخر 1814م الذي أثيرت فيه قضية القرصنة و الاسترقاق ،[2] وتقرر فيه ضرب القوة البحرية الجزائرية تحت شعار الحرب ضد القرصنة ، وقد تشجعت تلك الدول أكثر لما وصلتهم أنباء انهزام الأسطول الجزائري أمام الأسطول الجزائري أما الأسطول الأمريكي [3] .

وقد تعهدت بريطانيا بتنفيذ تلك القرارات وطلبت تعويضا مسبقا عن مجهوداتها ، وفي شهر جويلية 1815م ظهر أمام الأسطول الجزائري الأسطول الهولندي بفرض تجديد معاهدة السلام التي تربط بين البلدين طبقا لنفس شروط المعاهدة القديمة ، لكن الداي رفض هذه الاقتراحات قبل أن تقدم هولندا الهدايا و الضرائب إلى إيالة الجزائر .[4]

---

[1] محمد العربي الزبيري : المرجع السابق ، ص ص 119 ، 120 .

[2] يحي بوعزيز : المرجع السابق ، ص 134 . أنظر أيضا : صالح عباد : المرجع السابق ، ص 218 .

[3] مبارك الميلي ، عبد الله شريط : المرجع السابق ، ص 148 .

[4] وليام شالر : المرجع السابق ، ص 134 .

وفي هذه الفترة السفن الحربية الانجليزية عل ميناء الجزائر[1] وعليه فقد عمل الجزائريون على تحصين مراكزهم الدفاعية ووضعوا كل ما يملكون من سلاح تحت تصرف الجيش و شرع أكثر من أربعين ألف رجل للعمل على إقامة تحصينات جديدة واستدعي كل الإنكشاريين من جميع المراكز لمجابهة الأعداء ، كما عملت الجزائر على مضاعفة حملاتها على الشواطئ و الأساطيل الأوربية اقتناعا منها بأن ذلك ضروري ، لأنه يعوضها منافع التجارة التي حرمت منها نتيجة تآمر الأوربيين ضدها ، كما أن الجهاد البحري كان يشكل رد فعل على ما تسببت فيه الدول الأوربية بتصرفاتها العدوانية المتعصبة ، ولم تعط أية أهمية لقرارات مؤتمر فينا ، نتيجة لذلك قررت بريطانيا تنظيم حملة تأديبية ضد الجزائر ، أطلق عليها الأوربيون اسم قائد اللورد " إكسموت " .[2]

وفي شهر أفريل عام 1816م ، وصل الأسطول الانجليزي قصد افتداء أسرى مملكتي سردينيا و نابولي[3]، لكن الداي رد على الأميرال الانجليزي بأن الجزائر إيالة عثمانية ولا يمكنه الموافقة على اقتراحاته قبل أن يجري مشاورات مع الباب العالي ، وتستغرق هذه المفاوضات ستة أشهر ، وقد هدد اللورد إكسموت بتدمير مدينة الجزائر في حالة إصرار الداي على موقفه هذا وإعطاء ثلاث ساعات للمشاورة و الرد النهائي ، وقام الداي بجمع أهل المدينة واخبرهم بمطالب إكسموت ، وبعد مشاورات أجمعوا على التصدي للأسطول الانجليزي وعدم الاستسلام.[4]

[1] وليام شالر : المصدر السابق ، ص 149 .

[2] محمد العربي الزبيري :« مقاومة الجزائر للكتل الأوربية قبل الاحتلال » ، مجلة الأصالة ، ع 12 ، الجزائر ، 1973 م ، ص 123 .

[3] وليام شالر : المصدر السابق ، ص 150 .

[4] المصدر نفسه : ص 156 .

ورغم أن الخلاف قد حل بطريقة سلمية ، فإن نابليون بقي مصمما على شن حملة ضد الجزائر إلا أنه تراجع عن قراره نظرا لظهور مستجدات على الساحة الأوربية ، بعد فسخ عقد صلح " أميان " ، وقد هزم الأسطول الفرنسي في معركة الطرف الأغر 1805م*.

بودلت التهاني بين ملوك أوربا إثر نجاح الهجوم المشترك الانجليزي الهولندي ضد الجزائر ، وقد هنأ البابا أكسموت شخصيا ، ومنحت له ألقاب و هدايا ، وقالوا أنها أول مرة ينتصر فيها الصليب على الهلال ، وفي الواقع فإنه ليست بريطانيا و هولندا الوحيدتان في المعركة ، بل هناك دول مسيحية أخرى تكتلت ضد إيالة الجزائر المسلمة وهناك أدلة كثيرة تثبت ذلك :

- أن ملوك هولندا وإسبانيا وسردينيا منحوا رتبة الفروسية إلى اللورد إكسموت .
- مدينة لندن منحت حق البرجوازية ، وأن رئيس البلدية فيها سلمه باسم أصحاب الحرف سيفا مرصعا بالماس .
- كما أن جمعية تحرير العبيد بفرنسا ، ضربت ميدالية ذهبية تخلد الانتصار وتحمل صورة اللورد إكسموت ، وذلك رغم التنافس القائم بين البلدين نتيجة اختلاف المصالح .[1]

وقد كبدت هذه الحملة الجزائر خسائر بشرية ومادية معتبرة فحسب " قرامون " فإن عدد القتلى بلغ 500 شخص كما أن الأسطول الأوربي المتحالف أمطر الأسطول الجزائري الراسي بالميناء بالقنابل ، الأمر الذي أدى بإتلاف معظم قطعه ، وقد بلغ عدد الكرات الحديدية التي أطلقتها المدافع الانجليزية و الهولندية على التحصينات الجزائرية نصف مليون ، أما القنابل النارية بلغت 980 قنبلة.[2]

وخلاصة القول أن التحرش الإنجليزي الهولندي المتحالف ضد إيالة الجزائر يعد من أهم العوامل التي أثرت تأثيرا بالغا على إضعاف الأوضاع العامة في الجزائر نظرا لما خلفته من خسائر مادية وبشرية ، لذلك فقد أسهمت في إضعاف قوى الحكم العثماني في الجزائر

---

* الطرف الأغر : رأس إسباني إلى الشمال الغربي من جبل طارق ، انتصر فيها الأميرال الانجليزي نلسون على الأسطول الفرنسي الإسباني ...أنظر بسام العسلي : المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي ، ط1 ، دار النفائس ، بيروت ، 1980 ، ص 50 .

[1] محمد العربي الزبيري : المرجع السابق ، ص 124 .

[2] Grammant : histoire d'Alger sous la domination turque (1515- 1830) , paris , 1887 , p 378 .

4-حملة انجلترا على الجزائر 1824م .

كانت الدول الأوربية دائما بالمرصاد لأعمال القرصنة التي تمارسها البلدان المغربية ، فقد أثارت تلك القضية مرارا وتكرارا في مؤتمراتها ، والتي كان من بينها " إكس لا شابيل "* الذي انعقد عام 1818م فهو أخر المؤتمرات التي ناقشت القضية ، وفيه تمكن ممثلو الدول الأوربية من توقيع بروتوكول في 20 نوفمبر 1818م جاء فيه " اتفق المفاوضون طبقا لنص بروتوكول على أن يوصلوا في المؤتمر الوزاري الذي سيعقد في لندن للنظر في مختلف المشروعات المقترحة لإلغاء القرصنة التي تمارسها الدول البربرية بطريقة فعالة ...فقد طلبوا من مندوبي بريطانيا و فرنسا بوصفهما ممثلين للبلاطين ، يجب أن يكون لنفوذهما ثقل أكبر لدى الإيالات ، أن يوجها إليهما إنذارات جدية لأن استمرارها على نظام القرصنة الذي يضايق التجارة السليمة ...وتحتفظ البلاطات الخمس بحقها في تحذير الباب العالي أيضا بضرورة ما يمكن أن تتعرض لها الإيالات البربرية نتيجة لاستمرارها في ممارسة القرصنة ، من حيث ستكون سببا في قيام الدول الأوربية باتخاذ إجراءات حاسمة ".[1]

ونظرا لكون انجلترا و فرنسا مكلفتان بالاتصال مع دول شمال إفريقيا وفقا لقرارات المؤتمر فقد أوفد الأميرال "جوليان" و " فريمونتل " الانجليزي [2]، و الذين خصص لهما الداي مقابلتين يوم 05 و 09 سبتمبر 1819م للتصريح الذي أقرته الدول الأوربيةة في مؤتمر إكس لاشابيل ، إلا أن الداي حسين رفض الامتثال لتلك القرارات ، وقال بأنه لن يستسلم لقرارات ملوك أوربا مهما كانت الظروف .

وأن إيالته حرة في أن تحارب و تسالم من تشاء[3] ، وأكد بأنه سيواصل تفتيش جميع السفن الأجنبية.[4]

---

* انعقد هذا المؤتمر بحدود ألمانيا الغربية ، شاركت في انجلترا ، هولندا ، فرنسا ، إيطاليا و البرتغال ...أنظر عبد الرحمن الجيلالي : المرجع السابق ، ص 151 .

[1] وليام شالر : المرجع السابق ، ص ص 323 ، 324 .

[2] المرجع نفسه ، ص 127 .

[3] محمد العربي الزبيري : المرجع السابق ، ص 127 .

[4] جمال قنان : قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث ، المرجع السابق ، ص 271 .

بالإضافة إلى ذلك عمل على مضاعفة النشاط البحري وقام باستدعاء جميع قناصلة الدول الأوربية وأنذرهم بأن أي بلد يتماطل في تسديد الضرائب و الهدايا المعهودة إلى الحكومة الجزائرية يعتبر عدواً .[1]

وفي عام 1823م فرضت الحكومة الجزائرية الرقابة على الهيئات الأجنبية التي بدأت تتدخل في شؤون الإيالة خاصة القنصلية الفرنسية في مدينة عنابة التي كانت تستورد الأسلحة وتبيعها إلى القبائل الجزائرية لإثارتها ضد السلطة الحاكمة .[2]

وقد تزامنت تلك الأحداث مع تمرد القبائل بمدينة بجاية ، الأمر الذي جعل الداي حسين يرسل مذكرة إلى القناصل المقيمين بمدينة الجزائر يطالبهم بتسليم جميع الأشخاص الذين يعملون لديهم و الذين ينتمون إلى المنظمة الثائرة،لكن قنصلي أمريكا وبريطانيا لم يستجيبا لذلك الطلب وأصرا على عدم الامتثال لأوامر الداي ، مع ذلك تمكنت الحكومة الجزائرية من القبض على خدم القنصليات باستعمال القوة و الحيلة ، الأمر الذي أدى إلى توتر العلاقات بين الجزائر و بريطانيا .[3]

وحسب الزهار فإن توتر العلاقات بين البلدين سببه اعتداء عاملين في القنصلية الانجليزية على سفينة أمريكية هاج عليها البحر فالتجأت إلى ساحل بجاية ، بحيث أنهم نهبوا ما فيها وقتلوا بعض النصارى ، إلا أن القنصل الانجليزي رفض تسليمهم إلى الداي لمعاقبتهم[4]، لكن شالر يرى أن السفينة التي أشار إليها الزهار وقعت في 21 سبتمبر 1824 م ،أي بعد الحرب الانجليزية الجزائرية بنحو شهرين ، مما يجعل السبب الذي أشار إليه الزهار مستبعدا في كونه سبب توتر العلاقات بين الجزائر و انجلترا .[5]

في يوم 2 ديسمبر 1824م ، انعقد اجتماع آخر تمخض عنه تحرير مذكرة احتجاج ضد أعمال الحكومة الجزائرية في الفترة ما بين 22 – 26 أكتوبر 1823م ، لكن الداي اعتبر الموقف تدخل في شؤونه الخاصة.[6]

---

[1] محمد العربي الزبيري : المرجع السابق ، ص 127 .

[2] المرجع نفسه ، ص 127 .

[3] وليام شالر : المصدر السابق ، ص ص 193 ، 194 .

[4] محمد الشريف الزهار : المصدر السابق ، ص ص 51 ، 52 .

[5] وليام شالر : المصدر السابق ، ص 247 .

[6] محمد العربي الزبيري : المرجع السابق ، ص 128 .

وعلى أساس هذا الرد فقد وصلت الباخرة الانجليزية (ينادا) بقيادة القبطان " سبنسر " في جانفي 1824م تحمل معها توصيات للقنصل الانجليزي " ماك دونال " تتعلق بحوادث أكتوبر الفارطة ، كما اشتملت تلك على بنود إضافية للمعاهدة التي أبرمت بين الجزائر و انجلترا بعد حملت اللورد إكسموث عام 1812م ، إلا أن الداي رفض التوقيع عليها ، بحجة أنها لا تحمل الخاتم الحقيقي للدولة البريطانية ، وغم رفض الداي لمطالب القنصل الانجليزي ، فإن هذا الأخير بقي مصرا على التفاوض مع حكومة الجزائر ، وهذا ما أكدته الرسالة التي وجهها إلى القنصل الأمريكي "شالر" والتي قال فيها بأنه سيواصل مفاوضاته من أجل التوقيع على البنود التي وجهتها الحكومة إلى الداي دون أن يتنازل على شيء من مضمونها .[1]

وقد وجه الداي حسين* إلى السلطان العثماني " محمود الثاني " بشأن الخلافات التي نشبت بين الجزائر وانجلترا ومما جاء فيها :«...رغم الصلح الذي أبرم بين البلدين بعد حرب 1816م فإن الانجليز ما يزالوا ينظرون إلى القضية نظرة غالب و مغلوب ، ويعتبرون أنفسهم غالبين و الجزائريين مغلوبين ، وعلى هذا الأساس يتصرفون بما لا يتفق مع الصلح المبرم بين البلدين حيث يأتون بسفنهم إلى واجهة الميناء ويظهرون قوتهم أمام الجزائريين للضغط عليهم وتخويفهم، ولما رست سفنهم غرب المدينة خرج القنصل الانجليزي من قصره وذهب إليها ، ثم أرسل شخصا إلى أمير الأوجاق يعرض عليه شروط قاسية ، وذلك القنصل أنه لا يرجع إلى قصره إلا إذا وافق الأمير على هذه الشروط ، وبعد أن تلقي الأمير تلك التهديدات عقد اجتماعا مع ديوانه للنظر في شروط القنصل الانجليزي ، واتفق المجتمعون على رفض الشروط المعروضة عليهم... »، وأمام رفض الداي لشروط القنصل الانجليزي ، قام الانجليز بفرض حصار بحري على السفن التجارية الجزائرية ، الأمر الذي أدى إلى اشتباك إحدى السفن الحربية الجزائرية بقيادة الرايس " قدور باصون " مع الأسطول الانجليزي في جانفي 1824م.[2]

---

[1] وليام شالر : المرجع السابق ، ص 203 .

* أنظر الصورة رقم 3،ص83.

[2] محمد الشريف الزهار : المصدر السابق ، ص ص 152 ، 153 .

وقد أشاد شالر بالمقاومة الشديدة التي أبداها الجزائريون إثر ذلك الاشتباك حيث قال:«...وقد أبدت السفينة الجزائرية شجاعة نادرة المثال ...كانت مقاومة السفينة الجزائرية بردها بنيران مدافعها على نيران البارجة الكبيرة شيئا مدهشا حقا ،كما كان سلوك بحارتها يشرف أي دولة في العالم ، فإن السفن البريطانية ظلت تطلق نيرانها على نحو ثلاثة أرباع الساعة على نصف مرمى مسدس دون أن تتغلب عليها وتحملها على الاستسلام ...»[1].

وبعد هذا الصدام طلب الداي من الحكومة الانجليزية تغيير قنصلها في الجزائر " ماك دونال " بشخص آخر ، نظرا لما تسبب فيه من الفتنة و خلاف بين حكومته وإيالة الجزائر [2]،ونتيجة لذلك عملة انجلترا على إرسال أسطول حربي تحت قيادة الجنرال " هاري نيل " الذي وصل مدينة الجزائر في فيفري 1824م ، جاء بتعليمات مفادها أن الحكومة الانجليزية تعتبر نفسها في حرب مع الجزائر ، وأمر بفرض حصار على الجزائر حتى يعدل الداي عن رأيه ويقوم بتوقيع الصلح الذي عرضه عليه القنصل الانجليزي [3]، وقد تمثلت مطالب القنصل الانجليزي في زيادة الحصانة الدبلوماسية إلى دار القنصل الريفية ، وحق رفع العلم البريطاني فوق مبنى الدارين الريفي و الحضري ، والاعتراف بالقنصل الانجليزي كعميد للقناصلة المسيحيين ، وإعطائه جميع الامتيازات المترتبة على ذلك ، وإعفاء الأهالي الذين يخدمون القنصل الانجليزي من الضرائب وعدم مراقبة الدبلوماسيين البريطانيين .[4]

وعندما اجتمع الداي و الديوان لدراسة الوضعية خلصا إلى القول :" إذا إستمرينا في الحرب وقاومنا العدو ، فإن ذلك لا يكون إلا بإعانة من الله ثم بوصول الذخائر الحربية من قبل سلطانها ،إن الكفار اتحدوا ضدنا وهو يضمرون النوايا السيئة اتجاهنا ، ومن المؤكد أنهم سيتابعون الحرب حتى ولو تمكنا من تحطيم أسطولهم فإنهم قادرون على إرسال أسطول جديد ، وأن الباب العالي سيكون عاجزا عن مواجهتهم هاته ، وعليه ونتيجة للمحادثات السرية فإن الداي و الديوان قررا إعادة إمضاء الصلح "، وبذلك أطلق سراح 1500 أسير .[5]

---

[1] وليام شالر : المصدر السابق ، ص ص 205 ، 206.

[2] محمد العربي الزبيري : المرجع السابق ، ص 128 .

[3] وليام شالر : المصدر السابق ، ص 215 .

[4] محمد العربي الزبيري : المرجع السابق ، ص ص 128 ، 129 .

[5] عبد الجليل التميمي : بحوث ووثائق في التاريخ المغاربي ، المرجع السابق ، ص ص 257 ، 258 .

إن قسما من قلعتنا قد أصابه الضرر ، أما سفن الأعداء اللعينة التي كانت في الميناء ، فقد أضرمت النار في سفننا ، وقد كنا منشغلين أيضا خارج ترسانتنا بمراقبة خزائن ذخائرنا ومواردنا وحدودنا ، وعن شروط الصلح الذي عقد بين انجلترا وإيالة الجزار يذكر شالر :«... وبعد معركة دامية دامت تسع ساعات خضعت الجزائر ، وراحت تستجدي الرحمة من عدوها المنتصر ، وإثر ذلك صرح اللورد إكسموث بأنه لن يعلن الحرب لتدمير المدينة ، وطلب في مقابل الصلح إطلاق سراح جميع العبيد المسيحيين ، وإعادة مبلغ 350.000 دولار ، كان ملك نابولي وسردينيا قد دفعاه فدية لرعاياهم الذين أطلق سراحهم في شهر أفريل ، كما طالب بتنازل الإيالة في المستقبل عن حقها في استرقاق رعايا الدول المسيحية»[1].

أما عن معاهدة الصلح بين هولندا وإيالة الجزائر فقد ذكر الزهار : «...وكذلك عقد الصلح مع الفلامينك ولم يدفعوا شيئا مما كانوا يطلبونه منهم وهو غارمة ثلاث سنسن ثمنا للصلح ، تدفع في أجل معلوم.».[2]

أما الانجليز فقد استعملوا الحيلة وقد استفادوا من ساعة الانتظار تلك ودخلوا الميناء وانتصبوا اتجاه القلاع ، ثم أحضروا المدافع و الأسلحة ، وبدؤوا المعركة التي اندفع فيها الطرفان بكل عنف و قوة[3]، وفي الواقع أن الداي عمر وقع في خطأ استراتيجي ، نظرا لعدم إطلاق النار على الأسطولين من كسب المعركة كسب تاما ، وقال القنصل الأمريكي شالر في هذا الصدد :«...وهذه المناسبة تصرف الداي تصرفا يتسم بقلة التصميم و الحزم و لا يليق بشخصه ، فإن الباشا لم يكتف بأن يعيد رسول الأميرال الانجليزي بدون جواب على إنذاره بل أنه سمح في مفس الوقت أيضا للأسطول المشترك بأنه يختار المواقع الملائمة لقصف المدينة ، دون أن تخطر في باله مقاومته ».[4]

أضاف الداي في تقريره إلى الباب العالي :«لقد كان الطقس ثقيلا في تلك الليلة ، فصوت المدافع كان شديدا كالرعد و القنابل تتساقط على أوجاقكم البواسل وتسبب ذلك في مقتل و جرح ثلاث مائة شخص ، أما الكفار فيتراوح عدد قتلاهم وجرحاهم ما بين ألفين وثلاثة آلاف ، بالإضافة إلى مقتل ثمانية عشر ربابنة ، وفي تلك الليلة أحرق الأعداء أربع من بروجنا و حرقات أخرى ، ، أما أسطول العدو فقد أحرق إثنان من سفنه وإثنان ذات جسور وأغلبية سفنه قد تضررت ، ومن الغد في الصباح سادت الليلة في

---

[1] وليام شالر : المصدر السابق ، ص 157 .

[2] محمد الشريف الزهار : المصدر السابق ، ص 125 .

[3] عبد الجليل التميمي : السياسة العثمانية اتجاه احتلال الجزائر ، المرجع السابق ، ص 17 .

[4] وليام شالر : المصدر السابق ، ص 156 .

كلا الصفين وقد أرسل العدو إلينا مبعوثه ومترجمه وأخبرنا " لقد لحقتنا الخسائر في كلا الجانبين غير أن هذا لا يصرفنا مطلقا عن متابعة الحرب ، إن الدول قد اتفقت على محاربتكم وسيجبرونكم على عقد الصلح ، وإذا رفضتم ذلك فإننا قررنا إعلان الحرب من جديد".».[1]

وبعد أن يئس الانجليز من محاصرة الجزائر بدون تحقيق أي هدف ، فقد طلب الأميرال " هاري بيل " مقابلة الداي حسين ، وتمت المقابلة يوم 28 مارس 1824م وتوصل الطرفان في نهاية الأمر إلى اتفاق بشأن بنود السلام ، إلا أن الداي رفض عقد الصلح ، كما رفض استقبال القنصل الانجليزي ، كما أمر بكتابة رد على رسالة الأميرال " هاري بيل " وهذا معناها :" أنه يرغب في الاستقرار بالسلام الذي يقبله بالشروط التي عرضها عليه الأميرال ، ولكنه لن يقبل أبدا بعودة السيد " ماك دونال " ، وأنه قد أُبلغ في الحال خبرا مؤداه أن بارجتين بريطانيتين قد قامتا بقصف مدينة عنابة ، وأنهما قد أسرتا سفينة محايدة ، وأحدثتا أضرارا كبيرة ، وأن عددا من رعاياه قتلوا وجرحوا وأن هذه التصريحات لا تتفق مع اللهجة التي استعملها الأميرال بالأمس ". [2]

وبقي الداي متمسكا بموقفه رغم الحصار الانجليزي لمدينة الجزائر الذي دام ستة أشهر ، ونتيجة لتصلب الداي لموقفه قرر الانجليز شن حملة عسكرية ضد الجزائر ، وقد ورد في إحدى الرسائل التي وجهها القنصل الفرنسي في الجزائر " دو فال " إلى وزير الخارجية : «...إن الأسطول الانجليزي تقدم من جديد إلى الجزائر يوم 11 يوليو ، وهو يتكون من ستة سفن شراعية تبحر بعيدا عن الميناء ، وفي اليوم الثاني اقتربت إحدى السفن من الميناء و قصفت التحصينات وعندئذ صدرت الأوامر للأسطول الجزائري بمطاردتها.».[3]

وإرغامها على الابتعاد عن الميناء ، وفي 13 يوليو انسحبت السفن الانجليزية لتلتحق ببقية الأسطول الموجود في البحر .[4]

---

[1] عبد الجليل التميمي : بحوث ووثائق في التاريخ المغاربي ، المرجع السابق ، ص 258 .

[2] وليام شالر : المصدر السابق ، ص 124 .

[3] المصدر نفسه ، ص 224 .

[4] عبد الجليل التميمي : المرجع السابق ، ص 238 .

وفي يوم 24 جويلية أعاد الانجليز الكرة بقصف مدينة الجزائر ، وقد بلغ أسطولهم هذه المرة 22 قطعة ، إلا أن المدفعية الجزائرية لم تستسلم وبدأت في إطلاق الرصاص والقنابل بنشاط حادعلى الانجليز[1].

كما هاجم الانجليز الجزائر في اليوم التالي ، الأمر الذي أدى إلى مغادرة جميع أهالي مدينة الجزائر إلى المرتفعات المحيطة بها ، ولم يبق في المدينة إلا الجنود الذين دافعوا عن البلاد ببسالة ، وصمدوا أمام الأسطول الانجليزي ثلاث ساعات ، الأمر الذي أجبر الانجليز أمام المقاومة الشديدة التي أبداها الجزائريون إلى الانسحاب من ميدان المعركة وإبرام معاهدة صلح يوم 26 جويلية التي قبل فيها الداي بشروط الانجليز ، بعد أن وافقوا على استبدال القنصل " ماك دونال " .[2]

وأخيرا يمكننا القول أنه رغم فشل الانجليز في فرض سيطرتها على الجزائر ، إلا أن الحصار الذي فرضته عليها عام 1824م و الذي دام ستة أشهر تسبب في إضعاف التجارة الجزائرية الخارجية إلى حد كبير و التي تتم عن طريق البحر.[3]

---

[1] وليام شالر : المصدر السابق ، ص 236 .

[2] محمد العربي الزبيري : المرجع السابق ، ص ص 129 ، 130 .

[3] المرجع نفسه ، ص 129.

الفصل الثالث

1- المشاريع الفرنسية لإحتلال الجزائر
2- الحصار الفرنسي على الجزائر
3- مسار الحملة الفرنسية ونتائجها

الحملة الفرنسية على الجزائر

المشاريع الفرنسية لاحتلال الجزائر

إن التفكير في إحتلال الجزائر قديم عند الساسة الفرنسيين، وقد ظهر ذلك في شكل مشاريع عدوانية صريحة على الأرض، والتي تعود إلى عهد الملك لويس التاسع (1226-1270) الذي وضع مشروعا لإحتلال أهم المراكز الأساسية في المغرب (تونس، طرابلس، الجزائر)، ومنذ ذلك الوقت لم توقف فرنسا خططها لإحتلال الجزائر وقد زاد اهتمام فرنسا بالجزائر عندما حصلت على امتيازات تجارية على السواحل الجزائرية في القرن السادس عشر.

وقد اقترح القنصل الفرنسي "دوكيرسى DEKERCY" على حكومته إحتلال الجزائر سنة 1782م، وجدد هذا الاقتراح عام 1792م وقد جاء في المذكرة التي رفعها إلى الخارجية الفرنسية سنة 1791م قوله على الأخص «... إن الفكرة المنتشرة على أحسن مكان للنزول هو المكان المسمى سيدي فرج »[1] لكن الحكومة الفرنسية أعرضت عن هذه الفكرة و تمسكت بسياساتها السلمية التقليدية بسبب إحتياجاتها الملحة إلى منتجات شمال إفريقيا لتمويل الشعب الفرنسي و القوات المسلحة[2] لانشغالها بأمورها الداخلية من ناحية وتحسن علاقتها مع الجزائر من ناحية أخرى، فقادة الثورة الفرنسية عملوا على إقامة علاقات ودية مع حكام الجزائر، كما أرسلت الجزائر كميات كبيرة من الحبوب (القمح) والزيوت والجلود اللازمة لتموين فرنسا في تلك الفترة ، ولما أحست انجلترا بتحسن العلاقات بين البلدين نصحت حكام الجزائر بالتوقف على تقديم المساعدة لفرنسا إلا أن الداي رفض تلك النصيحة واستمر في تقديم المساعدة لفرنسا[3]

وقد توترت العلاقات الجزائرية الفرنسية، حيث طلب السلطان من الجزائر إعلان الحرب على فرنسا إثر الحملة الفرنسية المصرية (1798-1802م)، لكن السلام عاد من جديد 1801م وأعادت الجزائر لفرنسا امتياز صيد المرجان والتجارة[4].

---

[1] عبد الله شريط، محمد الميلى، المرجع السابق: ص159.

[2] يحيا بوعزيز : الموجز في تاريخ الجزائر , ج2 , ديوان المطبوعات الجامعية , 1999 , ص348 .

[3] جلال يحي: المغرب الكبير العصور الحديثة، ج3، دار النهضة للطباعة، بيروت، 1981، ص ص 86 ، 87 .

[4] بسام العسلى: المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي، ص89 .

وبالرغم من هذا التصالح إلا أن فرنسا لم تتخلى عن فكرة إحتلال الجزائر، فكان نابليون يحلم بجعل البحر الأبيض المتوسط بحيرة فرنسية، لذلك بدأ يخطط لحملة كبيرة ضد دول المغرب العربي لإقامة مستعمرات عسكرية فرنسية في تلك المنطقة والقضاء على الوجود الانجليزي، ولتحقيق ذلك طلب نابليون من الفرنسيين الذين كانوا أسرى بالجزائر أو الذين عاشوا فيها تزويدهم بمعلومات عنها، كما أرسل عدة بعثات بمهمة الجوسسة فقد أوصى القنصل الفرنسي السابق في الجزائر "جون بون سان_ أندري"* بضرب الجزائر ضربة سريعو وقوية وإنهاء الحرب في ثمانية أيام[1] .

كما قدم " تيدانا-THEDANA " نائب مفوض العلاقات التجارية مشروعا لنفس الغرض عام 1802، اقترح فيه على الحكومة الفرنسية إنزال قواتها قرب تنس والهجوم على الجزائر[2]

وقد تخلى نابليون عن مشروع الحملة لانشغاله بمناطق أخرى، إلا أنه وجه قطعة من أسطوله بقيادة الأمير " ليسيغ-LEISSEGUE " سنة 1802 لغرض مطالبة الداي مصطفى بالتعويضات عن السفينتين اللتين استولى عليهما الجزائريون، ومن بين الذين كانوا ضمن هذه المهمة القبطان " بيرج-BERGE "، الذي استغل فرصة وجوده في الجزائر لجمع معلومات هامة عنها[3] .

---

* ولد Jen Bon Saint andre يوم 25 فيفري 1749 بمدينة مونتوبون Montoubon بجنوب فرنسا، تلقن في صغره تربية دينية فأصبح راهبا في تلك المدينة وعند اندلاع الثورة الفرنسية 1789م وقف إلى جانب الثوار في 1813، عينته حكومة الإدارة قنصلا بالجزائر توفي بباريس يوم 10 ديسمبر 18 م إثر مرض التيفوس الذي أصابه...أنظر : بنور فريد : رسالة ماجيستير ، جامعة الجزائر ، معهد التاريخ ، 1999م ، ص ص 116 ، 117 .

[1] بسام العسلى: المرجع السابق، ص50 .

[2] أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص20.

[3] المرجع نفسه، ص20 .

ولما تولى الداي أحمد الحكم (1508-1808م) جرد فرنسا من مراكزها التجارية في الجزائر وعقد معاهدة "تلست-Tilist" مع روسيا عام 1807م[1]،ومعاهدة أخرى مع بريطانيا في نفس السنة حصلت بريطانيا بموجبه على تسلم مركز القالة واستغلاله لمدة عشر سنوات وتسلمت الجزائر في مقابل ذلك عشرة آلاف جنيه[2] وتفرغ لمشروع الحملة، فأمر وزير البحرية "دوكري-DECRES" في التفكير جيدا في حملة عسكرية ضد الجزائر سواء كانت بحرية أو برية، كما أمره بإرسال أحد جنوده الذين يمتازون بالروح العسكرية والمهارة الهندسية للجزائر سرا في مهمة جاسوسية وإعداد تقارير مفصلة وخطة واضحة للاحتلال فوقع الاختيار على المهندس العسكري " بوتان "، والذي وصل إلى الجزائر يوم 24 ماي 1808م، وتنقل خلال الفترة التي مكثها من برج البحري شرقا إلى سيدي فرج ووضع تقريرا وافيا عن المدينة ضمنه ملاحظات دقيقة عن تحصيناتها وطبيعة أرضها وعدد قواتها، واقترح أن يكون عدد جيش الحملة مابين 35 و 40 ألف جندي وهو عدد الجند عام 1830م، وفضل زمن النزول بين 10 ماي و10 جوان والحملة نزلت كما هو معلوم 14 جوان، ولا تستغرق أكثر من شهر والحملة على الجزائر دامت 21 يوما.

وهذا يمكن القول أن بوتان رغم وفاته عام 1815م، إلا أنه يعتبر الدليل الرئيسي والمرشد الأول لحملة 1830م، لكن هذه المشاريع رغم أهميتها فإنها لم تتجسد في وقتها بسبب انشغال فرنسا بالحروب الأوربية أيام حكم نابليون، وقد عادت العلاقات الفرنسية الجزائرية مجراها الطبيعي إثر حملة إنجلترا على الجزائر 1816م حيث تمكنت فرنسا من استرجاع امتيازاتها التجارية في مارس 1817[3].

ولم تلبث العلاقات الجزائرية الفرنسية أن توترت من جديد بسبب الخلاف بين الداي والقنصل الفرنسي دوفال ، كما يعتبر مشروع " محمد علي " من ضمن المشاريع الفرنسية لاحتلال الجزائر حيث كتب " دور فيتي " القنصل الفرنسي في مصر تقريرا وافيا إلى رئيس الوزراء الفرنسي " بولناك " في 10 أوت 1829م ، عدد فيه المزايا التي ستتحقق من قيام محمد علي حاكم مصر بالحملة على الإيالة العثمانية في شمال إفريقيا بدل فرنسا[4].

---

[1] – بسام العسلي: المرجع السابق، ص50

[2] . يحي بوعزيز:المرجع السابق ،ص351.

[3] – سعد الله: المرجع السابق، ص22 .

[4] أحمد الجزائري : المصدر السابق ، ص 6 . أنظر أيضا : شوقي عطا الله الجمل : المغرب العربي الكبير في العصور الحديثة ، ط1 ، المكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، 1977م ، ص ص 259 ، 260 .

بينما تقتصر مهمة فرنسا على مساعدته ماليا ، ونتيجة لذلك تكون فرنسا قد تحصلت على امتيازات اقتصادية وعاقبت الجزائر دون أن تعلن حربا مباشرة عليها ، وعرض المشروع على محمد علي فوافق عليه ، وقال للقنصل الفرنسي " دورفيتي " بأنه قادر على إنهاء المشكلة الجزائرية بتجنيد 68 ألف رجل و 23 سفينة ، وتوفير 100 ألف فرنك فرنسي لتغطية نفقات الحملة ، وقد رحب " بولينياك " بهذه الحملة ، ولما وصل بولينياك إلى الحكم أرسل الضابط " هودير " إلى مصر للتفاوض ، كما وجه رسالة إلى سفيره باسطنبول " جيمينو " مما جاء فيها :« ...إن داي الجزائر أهان الملك فاعتزم الملك أن يثار لشرفه وليس في نية جلالته أن يطلع الباب العالي على الرسائل التي سيلجأ إليها ، بل يكتفي بان يقول أن واجبه يقضي بأن يصون رعاياه عن الأخطار التي تهدمهم في هذا الجزء من الإمبراطورية ويضمن لهم الأمن ».[1]

وإن شاء السلطان أن يؤدي هذا العامل الشاذ فإن له من القوة العسكرية التي يمتلكها باشا مصر ما يضمن تنفيذ إرادته، ووضع هذه المهمة في عنق محمد علي وللسلطان أن يصدر فرمانا يأمر محمد علي بالاستيلاء على الولايات الثلاثة (الجزائر، طرابلس وتونس) وإقامة حكم جديد يضمن الهدوء والاستقرار[2]

وكان "بولنياك" يظن أن السلطان سيوافق بسهولة على الاقتراحات المقدمة إليه ويصدر فرمانا ويجعل حركة محمد علي شرعية، إلا أن السلطة المركزية بالباب العالي رفضت الاقتراحات التي عرضت عليها، وحاولت إقناع السفير الفرنسي بأن تأييد هذه الخطة يخالف الدين الإسلامي، وأن محمد علي لن يقدر على تنفيذ هذه الخطة، وأرسلت " خليل آفندي " الذي كان دبلوماسيا ماهرا للتوسط بين الجزائر وفرنسا

كما عارض بعض الوزراء مشروع محمد علي، واعتبروه إهانة للشرف الفرنسي مما أدى بتراجع حكومة فرنسا عن مساعدة محمد علي، وتقليص الإمدادات إلى 10 مليون فرنك للقيام بالحملة، وقد رفض مجلس الوزراء الفرنسي التعاون مع محمد علي خلال جلسته في 10 ديسمبر 1829م وقرر أن تقوم فرنسا بالحملة ضد الجزائر وحدها في 30 جانفي 1830م، بعد دراسة دامت 04 ساعات وفي 07 فيفري وافق "الملك شار العشر" وقبل مشروع الحملة وأصدر مرسوما ملكيا عين بموجبه قادة الحملة، وقبل أن نتطرق للحملة ينبغي معالجة الحصار الذي ضربه الأسطول الفرنسي على السواحل الجزائرية والذي دام ثلاث سنوات[3]

---

[1] بسام العسلي : المرجع السابق ، ص 62 .

[2] أحمد الجزائري: المصدر السابق، ص ص 07 ، 08 .

[3] أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر ، ص ص,32 31 .

الحصار الفرنسي للجزائر 1827 .

على إثر حادثة المروحة 27 أفريل 1827*، أعلنت فرنسا بأن الحكومة الجزائرية ألحقت بها إهانة لا تغتفر وتستوجب احتلال فرنسا للجزائر، إلا أنه ساد خلاف بين أعضاء الحكومة الفرنسية وبرزت فكرتان، الأولى تتمثل في فرض الحصار البحري على السواحل الجزائرية، والثانية تتلخص في ضرورة القيام بعملية إنزال للقوات على الساحل واحتلال مدينة الجزائر نفسها، ولما كانت فرنسا غير قادرة على القيام بعمل حربي نظرا لفراغ المخازن من الأسلحة بسبب حرب اليونان*، فقامت بضرب حصار على السواحل الجزائرية طيلة سنوات ثلاث سبقت نزول الجيش الفرنسي بسيدي فرج، وقد بدأ الحصار يوم 16 جوان 1827، واستمر لغاية 18 جوان 1830[1].

وقد تحرك أسطول حربي من ميناء طولون تحت قيادة الضابط "كولي – COLLET" في الفاتح من شهر جوان 1827 ووصل مدينة الجزائر في 11 جوان 1827 حاملا معه إنذارا للداي حسين وطلب منه أن يرسل أحد كبار الشخصيات الجزائرية (وكيل الخراج) إلى الأسطول الفرنسي لكي يعتذر باسم الداي إلى القنصل الفرنسي دوفال ويتم في نفس الوقت رفع العلم الفرنسي على المباني البارزة في العاصمة وعلى رأسها قصر الداي، ومقر القيادة البحرية[2].

وتحيته بمائة طلقة مدفعية، وكانت تعليمات كولي تقتضي أنه في حالة قبول الداي لآخر المقترحات فإنه يتقدم إليه بطلب دفع تعويضات عن الأضرار التي لحقت بالمنشآت الفرنسية، ومعاقبة الجزائريين المسؤولين عن ذلك، وحق تسليح تلك المنشآت في المستقبل وإذا لم يستجب الداي لهذه الشروط خلال 24 ساعة فإن فرنسا ستقوم في الحين بأعمالها العدائية ضد الجزائر[3].

---

* جاء السيد دوفال القنصل الفرنسي ليؤدي زيارته للداي يوم عيد الفطر، بمحضر جميع أعضاء الديوان، وقد كان هذا القنصل لا يجيد التركية فلما سأله الداي لماذا لم تجب حكومته عن البرقيات العديدة الخاصة بمطالب بكري، فكان جوابه في منتهى الوقاحة " إن حكومتي لا تتنازل لإجابة رجل مثلكم، فلم يتمالك الداي نفسه من الغضب فضربه بالمروحة ضربة واحدة .

* بدأت ثورة اليونان العام 1827 وانتهت بعد معركة نافارين البحرية 1827 تحالفت فيها القوات الفرنسية والإنجليزية والروسية ضد القوات العثمانية المصرية الجزائرية .

[1] صالح فركوس: المرجع السابق، ص 143 .

[2] جلال يحي: المرجع السابق، ص ص 101 ، 102 .

[3] جمال قنان: معاهدات الجزائر مع فرنسا، ص 222 .

وكان من الطبيعي أن يرفض الداي هذه الشروط المهينة والدنيئة لدرجة أنه صرخ قائلا : «أتعجب كيف أن الفرنسيين لم يطلبوا مني زوجتي أيضا »[1]، ووجه رسالة إلى القنصل الفرنسي دوفال جاء فيها: « لم يقل لك أحد أخرج من المدينة، فإن بقية محافظا على الشروط القديمة، فعد من تلقاء نفسك، وإلا ففعل ما تريد»، كما استدعى الداي حسين الرعايا الفرنسيين وخيرهم بين البقاء أو الخروج من الجزائر[2].

وبعد انقضاء أجل الإنذار دون رد الداي فقد أعلن "كولي" الحصار يوم 16 جوان 1827، وكان الفرنسيين يهدفون من وراء الحصار قطع التموين عن الجزائريين، ولم تتخلى فرنسا عن فكرة إحتلال الجزائر في الوقت الذي كان فيه الحصار مضروبا عن الجزائر، وقامة العناصر المتطرفة وعلى رأسها "كلير مون دو طونير- C_DETENNER" بإعداد مشروع لغزو الجزائر وتوقع المشروع أن يتم تنفيذ الحملة خلال فترة ستة أسابيع واقترح فكرة تنفيذ الغزو بهجوم بري ويتم إنزال للقوات في سيدي فرج، وذلك في الفترة بين أفريل وجوان [3].

وحددت تكاليف الحملة بخمسين مليون فرنك واقترح المشروع إحتلال الجزائر كلها احتلالا طويل المدى، إلا أن حاجة فرنسا لقواتها العسكرية لتوظيفها في ثورة اليونان، وفراغ المخازن من الأسلحة حال دون تنفيذ الحملة[4].

وقررت الحكومة الفرنسية في جلسة 11 أكتوبر 1827 مواصلة حصار السواحل الجزائرية، فلما تضرر الجزائريون من الحصار أمر الداي بتعبئة 11 سفينة وحدثت صدامات بين الطرفين انتهت بانهزام الجزائريين.

وبعد 11 شهرا من الحصار على السواحل الجزائرية تبين للحكومة الفرنسية أن الحرب شكلت عبئا ثقيلا عليها أكثر مما أضر بالجزائريين حيث كبدها 07 ملايين فرنك كما أصبح الرأي العام يلح بضرورة إعداد حملة برية ضد الجزائر، لكن الحكومة الفرنسية لم تقبل هذا الاقتراح كونها لم تكمل استعدادها لذلك بعد[5].

---

[1] صالح فركوس: المرجع السابق، ص 143 .

[2] أحمد الجزائري: المصدر السابق، ص 22 .

[3] بسام العسلي: المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي، المرجع السابق، ص ص 55 ، 57 .

[4] بسام العسلي: المرجع السابق، ص 55 .

[5] جمال قنان:« عنصر الأزمة الجزائري الفرنسية عام 1827م » ، مجلة التاريخ، ع خاص، الجزائر، 1984، ص 14 .

ونظرا لهذه الاعتبارات وجدة الحكومة الفرنسية نفسها مضطرة لإعادة النظر في سياستها نحو الجزائر لحل الأزمة، فقامت في شهر سبتمبر 1828 بإرسال "لا بروتونير-LABRETONNIERRE" الذي خلف "كولي" في مهمته منذ 18 جوان 1828 وقد عرض على الداي مجموعة من الشروط تمثلت في أن يبعث الداي مندوبا إلى فرنسا تكون مهمته التعبير للحومة الفرنسية عن رغبة الجزائر في إقرار السلام مع فرنسا وإعطاء تفسيرات مرضية عن مسلك الداي إيزاء القنصل وعن نواياه الحقيقية إيزاء فرنسا[1].

وخلال شهر سبتمبر عام 1828 أرسل لابروتونير إلى الداي الضابط "بيزار-BEZARD" وقنصل سردينيا "داتيلي-D'ATTILI" الذي كان مكلفا برعاية مصالح فرنسا في الجزائر، لعرض المطالب السابقة الذكر، فرد الداي أنه يوافق على ذلك مبدئيا، كما اقترح فتح المفاوضات بين الطرفين لإبرام معاهدة سلم جديدة، ولكنه رفض إيفاد مبعوث إلى فرنسا قبل توقيع الصلح[2]، وبعد هذه المقابلة تأكد الداي بأن قائد الحصار ليس له صلاحيات التفاوض وعندما طلب منه القنصل داتيلي مقابلة جديدة اكتفى بالرد على لسان مترجم للتأكيد على الموقف الذي أعلنه في اللقاء السابق، والذي يقضي عدم إيفاد أي مبعوث إلى فرنسا قبل توقيع الصلح بين الطرفين، كما أكد كذلك على وجوب إشهار حادث إقرار السلم من جديد بإطلاق واحد وعشرين قذيفة مدفعية في كل من البلدين، كما رد على التهديدات الفرنسية بشن حرب ضده، بكونه لا يخشى هذه الحرب وأنه مستعد لمواجهتها[3].

---

[1] جمال قنان:« عنصر الأزمة الجزائري الفرنسية عام 1827م المرجع نفسه، ص ص 14،15 .

[2] جمال قنان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، المرجع السابق، ص ص 64 ، 65 .

[3] جمال قنان: العلاقات الفرنسية الجزائرية (1790-1836) ، المرجع السابق، ص 376 .

وبعد مقابلة الداي أقلعة السفينة الفرنسية "لابروفانس- LABROUVENCE" التي كان على متنها الوفد الفرنسي في 03 أوت 1829 من ميناء الجزائر وقامت بتحركات مشبوهة[1]، فردت عليها وحدات الأسطول الجزائري بعدة طلقات مدفعية، إنذارا لها بعدم الاقتراب من مواقعها، لكن لم تأبه بذلك الإنذار الذي وجه إليها واستمرت في سيرها إلى أن أصبحت تحت الخطوط الحامية، وإثر فشل لابروفانس في محاولتها الثانية تأكدت الحكومة الفرنسية أن لا أمل لها في إرغام الجزائر في قبول شروطها وأن الحل الوحيد يكمن في حملة بحرية أو برية ضدها.

لقد أدى هذا الحصار إلى تقهقر فاجع في الحياة الاقتصادية بالموانئ الجزائرية، ومنها إلى بقية أنحاء القطر، كما أدى إلى إفلاس الخزينة الجزائرية نتيجة انعدام الموارد المالية وانحصار التجارة الخارجية، كما لم يعد بإمكانها تلقي الإعانات العسكرية من الخارج. [2]

[1] جمال قنان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، المرجع السابق، ص 20 .

[2] جمال قنان: العلاقات الجزائرية الفرنسية (1790-1836)، المرجع السابق، ص 380 .

الحملة الفرنسية على الجزائر

عندما أصبح "بولنياك" رئيس وزراء فرنسا في 18 جوان 1829 قررت فرنسا توجيه حملة عسكرية ضد الجزائر، فراحت تفتعل الأسباب لتبرير حملتها، واتخذت من حادثة المروحة التي اعتبرتها إهانة لشرفها سببا مباشر في ذلك كما تذرعت بأسباب أخرى نذكر منها عدم معاقبة الداي حسين لأهالي عنابة، والذين قاموا بمهاجمة السفينة الفرنسية "لابروفاس" يوم 03 أوت 1829[1] بالإضافة إلى إلغاء الحكومة الجزائرية للامتيازات الفرنسية في سواحل بلادها وإصدارها للقرار عام 1826 والذي منحت بموجبه الحرية لجميع الدول الأوربية لصيد المرجان، كما ادعت أنها تريد وضع حد لأعمال القرصنة البحرية التي كان يقوم بها الجزائريون ضد السفن الأجنبية في البحر المتوسط[2].

والملاحظ أن الأسباب التي استغلتها الحكومة الفرنسية للقيام بحملتها ضد الجزائر، لم تلمس جوهر الحقيقة، فلو أخذنا حادثة المروحة كسبب مباشر في توجيه الحملة فإنه قد مرت أكثر من ثلاث سنوات بينها وبين 05 جويلية الذي هو تاريخ الاحتلال[3]، كما ذكر المستشار النمساوي "ميترنيخ-METHERNICH" أن تحرك فرنسا بمثل هذا الجيش الجرار وأن تصرف هذا المبلغ (150 مليون فرنك) ..... من أجل ضربة مروحة ؟[4].

---

[1] بسام العسلي: المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي، ص 60 .

[2] -جمال قنان: العلاقات الفرنسية الجزائرية (1790-1836)،المرجع السابق, ص 19 .

[3] وليام سبيسير: المرجع السابق، ص 03 .

[4] - CHARLS ENDRI JULIEN: C'histoire de l'algerie comtemporme, paris, 1964, P 38

أما الأسباب الحقيقية للحملة فمنها ما هو سياسي ومنها ما هو عسكري ومنها ما هو ديني.

أ- الدوافع السياسية:

لاشك أن دخول الجزائر تحت مضلة الحكم التركي كان بمثابة إنقاذ لهذا البلد من الاحتلال الإسباني وقد تمتعت البلاد في ظل الحكم التركي بمكانة مرموقة وهيبة دولية خلال تلك الفترة الطويلة، لكن بنهاية القرن السادس عشر بدأت البلاد تأخذ منعرجا خطيرا فتفاقمت فيها الصراعات على الحكم وكثرت الاضطرابات والمؤامرات.

ولقد حرصت فرنسا على إقامة علاقات دبلوماسية مع الجزائر، وهذا نابع من رغبتها في استغلال خيرات البلاد الاقتصادية واحتكار استثمار المرجان الذي كان يزخر به ساحل القالة وعنابة، وقد عقدت الجزائر مع فرنسا في الفترة الممتدة بين (1619-1830م) حوالي 47 معاهدة تخدم في أكثرها مصالح فرنسا[1]، كما أن الملك "شارل العاشر" كان يرغب في خلق تعاون وثيق مع روسيا في حوض البحر المتوسط حتى يتغلب على الهيمنة البريطانية والتمركز في ميناء الجزائر[2]، كما أن شارل العاشر* يرغب في امتصاص غضب الشعب خاصة بعد خلق حرية الصحافة وشغل الشعب بحرب خارجية، وكسب رضاه بنوع من النصر الزائف، وقد اعترف الملك شارل العاشر بهذا صراحة حين قال « ...إنه لشيء جميل أن نتقدم إلى البرلمان ومفاتيح الجزائر بيدنا»، كما أن فرنسا أرادت تحطيم القيود التي فرضها مؤتمر فينا 1815م والذي قرر أن لا تقوم فرنسا بإجراء تغييرات إقليمية دون موافقة الدول الكبرى .[3]

---

[1] صالح فركوس: المرجع السابق، ص 131 .

[2] عمار بوحوش: المرجع السابق، ص 83 .

* ولد شارل العاشر بفرساى (1757-1836م) حفيد لويس الخامس عشر ولويس الثامن عشر والذي خلفه على العرش سنة 1824م وفي 15 جويلية 1830 اسقط شارل العاشر وحل محله لويس فيلب ...أنظر : بسام العسلي : المرجع السابق ، ص 67 .

[3] - أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 44 .

ب- الدوافع العسكرية:

إن انهزام الجيش الفرنسي في أوربا وفشله في إحتلال مصر والانسحاب منها تحت ضربات القوات الإنجليزية في 1801، دفع بنابليون بونابرت إلى أن يبعث بأحد ضباطه إلى الجزائر في الفترة الممتدة من 24-27 جويلية 1808 ليضع له خطة عسكرية تسمح له بإقامة محميات فرنسية في شمال إفريقيا تمتد من المغرب الأقصى إلى مصر، وفي 1809 قام هذا الضابط "بوتان" بتسليم مخطط لإحتلال الجزائر عن طريق البر، إلا أن "نبليون" أضطر إلى تأخير هذه الحملة خاصة بعد هزيمة "وترلو" 1815، ولما شعر ملك فرنسا أنه من الأفضل الاعتماد على سياسة التوسع في أفريقيا من أجل إشغال الجيش بمسائل حيوية تتمثل في إحتلال الجزائر وتحقيق انتصار باهر وبالتالي التخلص من إمكانية قيام الجيش بانقلاب ضده[1].

ج – الدوافع الاقتصادية:

لقد كان حرص فرنسا على إحتلال الجزائر اعتقادا منها أنها ستحصل على غنيمة تقدر بـ150 مليون فرنك توجد في خزينة الداي، كما كانت تسعى إلى إقامة علاقات دبلوماسية مع الجزائر من أجل استغلال خيرات البلاد الاقتصادية[2]، وقد تعاون الرأسماليون الفرنسيون الذين كانت تدفعهم مصالحهم المالية إلى التوسع والعثور على أسواق جديدة ومواد خام ضرورية لهم، مع رجال الجيش الذين كانوا يبحثون عن المغامرة وملاء جيوبهم بواسطة السلب والنهب حتى يرتقوا إلى مصف الشخصيات الراقية في المجتمع الفرنسي كما أن مجموعة من التجار كانت متحمسة لفكرة إحتلال الجزائر والاستيلاء على الأراضي الخصبة بها وزراعة العنب والبحث عن المناجم والذهب[3].

---

[1] عمار بحوش: المرجع السابق، ص 84 .

[2] صالح فركوس: المرجع السابق، ص 135 .

[3] عمار بحوش: المرجع السابق، ص 85 .

د- الدافع الديني:

في الحقيقة أن الصراع الذي كان قائما بين الدول المسيحية الأوروبية والدولة العثمانية قد انعكس على الجزائر، لأن الأسطول الجزائري القوي يعتبر في نظر الدول المسيحية امتداد للأسطول العثماني، الذي كان يسيطر على منطقة الشرق العربي، ومما لاشك فيه أن التعاون الوثيق بين الدولة العثمانية الإسلامية والدولة الجزائرية المؤيدة لها هدفه الدفاع عن حوزة الإسلام، مما جعل الدول المسيحية تتعاون فيما بينها لضرب المسلمين في الجزائر[1] وإسطنبول، بل وتتنافس فيما بينها في شرف القضاء على الأسطول الجزائري وكانت فرنسا تشعر بأنها الحامية للبابوية والمدافعة عن مصالحها حيث أعلن شارل العاشر عن هذا الاتجاه في عام 1830 (أن التعويض الحاسم الذي أريد الحصول عليه هو أن أثر لشرف فرنسا أن يتحول بمعونة الله لصالح فرنسا) [2].

وقد ذكر وزير الحربية الفرنسية "كليرمون" في تقريره الذي رفعه إلى مجلس الوزراء الفرنسي في 14 أكتوبر 1827 « ربما يكون من حضنا أن نمدهم مع الوقت وذلك بجعلهم مسيحيين » . [3]

ومن الخطأ اعتبار أن سببا معينا في ذاته ولوحده هو الدافع لفرنسا لإحتلال الجزائر، بل إن هذه الأسباب القريبة منها والبعيدة مندمجة هي التي دفعت فرنسا إلى إحتلال الجزائر، تحقيقا لتلك الأطماع والمكاسب[4]

---

[1] عمار بحوث: المرجع السابق، ص 85 .

[2] شوقي عطاء الله الجمل: المرجع السابق ص 25 .

[3] عمار بحوش: المرجع السابق، ص 257 .

[4] CHARLS ENDREE JULIEN: OP.CIT, P 31 .

وكما أشرنا سابقا أن الحملة الفرنسية انطلقت من ميناء طولون الحربي في 25 ماي 1830 بقيادة وزير الحربية "بورمون" متجهة نحو الجزائر وهي تتألف من 37 ألف جندي 1700 بحار و103 سفينة حربية بالإضافة إلى السفن التجارية المستأجرة لحمل الجنود والمؤن وقد وصلة الحملة في 14 جوان 1830 ونزلت بشبه جزيرة سيدي فرج غربي العاصمة على بعد 28 كلم وذلك وفق خطة "بوتان"[1] والتي وضعها منذ عهد نابليون، وفي هذا يقول الزهار (وفي يوم الحادي والعشرين من ذي الحجة 1245هـ ظهرت عمارة الفرنسيين، ويوم الأحد نزل عسكرهم بسيدي فرج)[2].

بالنسبة للقيادة الجزائرية فقد اعتمدت في البداية خطة استهدفت منع نزول العدو بسيدي فرج، وبعد أن فشلت في ذلك بقيت تنتظر عدة أيام لاستكمال تجمع القوات عند هضبة اسطوالي، فخطة ابراهيم آغا يوم 18 جوان ترتكز على الهجوم على جناحي العدو والذي تمثل جبهته شكل هلال وسطه شبه الجزيرة بغرض تغليفه وقطع اتصاله بالبحر، ومركز الهجوم الرئيسي تقوم به ميمنة الجيش الجزائري بقيادة ابراهيم آغا نفسه، وفي صبيحة 19 جوان انطلقت القوات الجزائرية من موقعها عند معسكر اسطوالي مستغلة في تلك كثافة ضباب الصباح، مما منع مدفعية الأسطول من التدخل، سارت الخطة في مرحلتها الأولى سيرا حسننا، لكن عند حدود العاشرة بدأ الموقف يتغير، حيث أدركت القيادة الفرنسية الخطة وقامت بمناورة على الجناحين، فحاصرة الجيش الجزائري الذي تحول إلى غوغاء وحشود مذعورة ناجية بنفسها[3] .

وهو ما عبر عنه حمدان بن عثمان خوجة قائلا: « ولما تحرك انهزام الآغا* وجيشه ولم يعرف أحد إلى أي مكان تم الانسحاب »[4].

---

[1] صالح فركوس: المرجع السابق، ص 145 .

[2] محمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص 171 .

[3] جمال قنان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 100. أنظر أيضا: أحمد السليماني: تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989، ص ص 90-91 .

* ابراهيم آغا هو صهر الداي حسين ويقول حمدان بن عثمان خوجة أنه كان كالحمار لا يعرف سوى الأكل والنكاح .

[4] حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق، ص 199 .

وبالرغم من الصدق ونية الجهاد التي أبداها الجزائريون في الدفاع عن بلادهم فإن الجيش الفرنسي تمكن من الانتصار عليهم وكسب الرهان، وبذلك تراجع الجزائريون إلى قلعة السلطان الواقعة في مرتفعات مدينة الجزائر، الأمر الذي ساعد الفرنسيين على نصب وتسليط مدافعهم صوب قلعة الإمبراطور وبدؤا بقصفها ومات خلق كثير من الفريقين وخرج آخرون أحياء من القلعة من بينهم الخزناجي، وقبل مغادرته للقلعة وعد بمائة سلطاني ذهبا لمن يشعل النار في خزانة البارود وكان أن وجد من نفذ هذه العملية فانفجرت خزانة البارود، وقد كان يعتقد أن تفجير القلعة سيجعل الحجارة تسقط كلها فوق الجيش الفرنسي فتقضي عليه أو على جزء منه على الأقل، لكن الحجارة سقطة على المدينة وألحقت أذًا كبيرا بها دون أن يصيب الجيش الفرنسي أذًا، كما أن ذلك الانفجار الكبير أثار الخوف والرعب بين السكان مما أدى إلى انهيار معنوياتهم[1]

وبعد أن تحطمت القلعة دخل إليها الفرنسيون، ونصبوا مدافعهم من ناحية البحر، وفي هذه الأثناء جمع حسن باشا سائر الأمناء وأعيان البلاد ورجال القانون وعرض عليهم الوضع الخطير الذي كانت عليه المدينة وطلب آرائهم إلى وسيلة تحقق السلامة، وقد كان كلام الداي غامضا فإن رد أعيان المدينة كان غامضا وذلك لخوفهم من أن يكون الداي يحس تأثير المنشورات التي وزعها "بورمون" في الجزائر *والتي دعا فيها الشعب للاستسلام بدعوة أنه جاء محررا لهم[2].

[1] محمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص 174 .

* أنظر ملحق الوثائق رقم1،ص85.

[2] –حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق، ص 200 .

إن إشارة الداي بقبول الاستسلام للفرنسيين وتسليم المدينة حسب نصوص معاهدة يمضيها معهم تدل دلالة واضحة على اقتناعه أنه غير قادر على مقاومة الفرنسيين وأن مسألة سقوط حكومته مسألة وقت فقط[1]، وعندئذ أرسل الداي حسين يوم 04 جويلية 1830م وفدا للتفاوض مع "بورمون" وتوصل الطرفان في النهاية إلى إبرام معاهدة يوم 05 جويلية 1830م* نصت على فتح أبواب مدينة الجزائر أمام الجيش الفرنسي، وعلى إثر ذلك سلم الداي مفاتيح مدينة الجزائر إلى القائد الفرنسي "بورمون"، وتجمعن قوات الإنكشارية في الثكنات وسلمت الثكنات للجيش الفرنسي[2] .

وقد التزم الداي بتنفيذ جميع بنود المعاهدة التي أبرمها مع الفرنسيين، بينما السلطة الفرنسية لم تلتزم بتنفيذها، حيث أنه بمجرد دخول الجيش الفرنسي للجزائر قام بأعمال وحشية، ونهبوا كل السلع التي وجدوها بالميناء والتي تقد بمبالغ هائلة[3] .

أما بالنسبة للأسباب التي أدت إلى الهزيمة فهي متعددة، يمكن حصرها فيما يلي:

- استخدام الجزائريين للأسلحة العتيقة عكس الفرنسيين فقد استخدموا أسلحة متطورة وخططا حربية عصرية لذلك كانت جولات الصراع غير متكافئة[4] .

- إهمال الداي حسين وسوء تقديره للأمور، فعندما قدم إليه الرايس أحمد بالجي وكيل ضريح سيدي فرج وأخبره بظهور بعض العمارة الفرنسية، قال له إن ذلك سحاب في الأفق[5] .

- عزل يحي آغا قائد الجيش منذ 12 سنة، كان رجلا ذكيا ومخلصا وصاحب خبرة وتم إعدامه فيما بعد، بعد مؤامرة حيكت ضده، وتعين ابراهيم آغا خلفا له والذي لم يكن يوما قائدا ممتازا ولم يكن يعرف الكثير عن التكتيك العسكري[6].

-

---

[1] عمار بوحوش: المرجع السابق، ص 91 .

* .أنظر الى ملحق الوثائق رقم2،ص86.

[2] عزيز سامح ألتر: المرجع السابق، ص 651 .

[3] حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق، ص 233 .

[4] –جمال قنان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص ص 32 ، 33 .

[5] أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص 171 .

[6] –حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق، ص 188 .

- وقد ارتكب أخطاء كثيرة منها اعتماده على رجال لا يعرفون شيئا عن القتال، كما أنه لم يمد العدد القليل من القبائل الذين وفدوا لمساعدتهم بالأسلحة مما جعلهم يعودون من حيث أتوا، كما أنه لم يأخذ بعين الاعتبار الخطة التي اقترحها عليه الحاج أحمد باي قسنطينة، ولم يسلم الأموال التي استلمها من الداي للمحاربين لرفع معنوياتهم .

- الفارق العددي الكبير بين الجيش النظامي الذي لم يتجاوز 600 جندي تركي ولم يكن بسيدي فرج سوى 12 مدفع و 300 فارس، مقابل 37000 جندي فرنسي و 700 بحار و 103 سفينة حربية بالإضافة إلى السفن المستأجرة[1] .

- ثقة الداي حسين الكبيرة في الخزناجي، وإرساله للدفاع عن قلعة مولاي حسن (حصن الإمبراطور)، والذي كان يصبو إلى تأييد الانكشارية للقيام بانقلاب سيتولى به الحكم ويعزل الداي[2] .

كما أن الداي وجماعته لم يضعوا خطة مدروسة لمواجهة الفرنسيين، ولم توجد قيادة تستعين بآراء الخبراء ويتفق أعضاؤها على خطة دقيقة، كما أن المجلس الذي انعقد لتحديد خطة معينة للدفاع عن البلاد، لم يتمكن من وضع إستراتيجية دقيقة لمواجهة الجيش الفرنسي، بل وانتهى المجلس بآراء متضاربة[3] .

وقد تمخضت عن الحملة الفرنسية وسقوط مدينة الجزائر عدة نتائج منها:

- التوقيع على معاهدة الاستسلام ودخول الجيش الفرنسي للجزائر وبذلك انتهت فترة الحكم العثماني في الجزائر، وغادر الداي حسين الجزائر يوم 10 من الشهر نفسه إلى نابولي فالإسكندرية حيث توفي بها 1838[4] .

---

[1] صالح فركوس: المرجع السابق، ص 143 .

[2] عمار بحوش: المرجع السابق، ص 93 .

[3] المرجع نفسه، ص 95 .

[4] صالح فركوس: المرجع السابق، ص 146 .

- عاث الجيش الفرنسي في البلاد فسادا حيث قام الفرنسيين بسلب ونهب ما وجدوه في طريقهم[1] حيث نهبوا الأموال التي كانت بالخزينة والتي قدرت بـ: 55684527 فرنك كما قاموا بزرع الموت والدمار، وقاموا بتخريب المنازل وأنابيب المياه مما أدى إلى انتشار الأمراض الأوبئة[2] .

- حل الجيش الانكشاري الذي كان عدده 3500 وترحيلهم يوم 11 جويلية بشكل يدمي القلوب في ذلة وانكسار، وقد استغل اليهود ذلك للانتقام منهم ومن الجزائريين فنهبوا أموالهم ومنازلهم وأعلنوا الولاء للفرنسيين واستقبلوهم بالرقص والترحيب[3] .

- حصلت فرنسا على المواد الأولية المخونة في الجزائر، وابتلعت ما كان عليها من ديون للجزائر وحملت الغنائم والكنوز والثروات إلى فرنسا لتزين تاج الحرية والإخاء والمساواة[4] .

- إصدار قرار يقضي بتسليم الأراضي ملك الجزائريين للمعمرين وبذلك قاموا بتجريد الجزائريين من أراضيهم، كما قام الجنرال "كلوزيل" بتشجيع وإقناع الفلاحين والتجار الفرنسيين بالقدوم للجزائر والاستيلاء على الأراضي الخصبة وزراعة العنب والبحث عن الذهب في المناجم الجزائرية[5] .

---

[1] حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق، ص 190.

[2] صالح فركوس: المرجع السابق، ص 176 .

[3] بسام العسلي: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ص 74 .

[4] المرجع نفسه، ص 74 .

[5] -عمار بحوش: المرجع السابق، ص 93 .

خاتمـــة

خاتمة :

ومن خلال ما سبق يمكن الوصول إلى النتائج التالية:

– إن سكان مدينة الجزائر وتلمسان وبجاية هم الذين طلبوا مساعدة عروج وخير الدين للتخلص من الخطر الإسباني المحدق بهم ،وذلك لأنهم أدركوا عدم قدرتهم على مواجهة الجيوش الإسبانية المسيحية وطلبوا من السلطان العثماني الانضواء تحت لواء الخلافة العثمانية .

– اتسم الوجود العثماني في الجزائر بأنه وجود معنوي أكثر منه وجود مادي، وقد كان الوجود العثماني في الجزائر إيجابي إذ أنهم تصدوا للغارات الصليبية وساهموا في تأخير احتلال الجزائر زهاء الثلاث قرون.

– تميزت العلاقات الجزائرية العثمانية في هذه الفترة بالضعف إذ أن الدايات كانوا يرفضون تدخلات الباب العالي في شؤونهم

– عرفت الجزائر في هذه الفترة تدهورا سياسيا بسب الإضطربات والتمردات والتي قادها رجال الطرق الصوفية ضد الحكم العثماني مما أدى على عدم استقرار الجهاز السياسي بسب الظلم الاجتماعية – ضرائب ومكوس و إتاوات...كلها ساهمت في إضعاف الدخل الفردي – والاستبداد السياسي ، وانتشار للأمراض و الأوبئة بسب سوء المعيشة وتراجع الدخل

– تميزت الفترة الأخيرة من الحكم العثماني بتدهور الجانب الاقتصادي بسب قلة المردود الزراعي الذي كان لا يلبي حاجيات السكان المحلية ،لارتفاع الضرائب التي كانت مسلطة على هذا القطاع والتي كانت تمثل الدخل الرئيسي للدولة ، أما التجارة فقد كانت تحت سيطرة اليهود والذين زادوا من مأساة الشعب باحتكاراتهم وتعاملاتهم الربوية،كما استطاع اليهود تحقيق أرباح خيالية على حساب الأهالي لكونهم قاموا بدور الوساطة في كل العمليات التجارية.

– استغل اليهود الوضع في مد نفوذهم إلى المجال السياسي والمالي للجزائر متبعين في ذلك شتى الوسائل والطرق من تقديم الهدايا للحكام والإغراءات المالية والتجسس وتأسيس الشركات الاحتكارية الكبرى ،وهكذا استطاع اليهود التدخل في السياسة بل وتعيين وعزل الموظفين الكبار في الدولة.

– لم يهتم الأتراك بالجانب التعليمي بل تركوه للعامة ولم تشجعوا الثقافة ولم يهتموا بدور العلم ،حيث انخفض مستوى التعليم قي كامل القطر في بجاية وتلمسان وتيهرت وكانت أمهات المدن التي اشتهرت بالعلم والعلماء في العهد الإسلامي ،مما أدى إلى انزلاق المجتمع في هوة الخرافات والبدع والدجل والدروشة.

– أما الجانب العسكري لم يكن أحسن حالا فقد تراجعت صناعة السفن بسب سيطرة اليهود على تجارة الخشب ورفض تموين مصانع السفن مطالبين برفع نسبة الفائدة الخاصة بنقل الخشب والتي بلغت 10% ،كما لم تعد هذه الصناعة قادرة على منافسة نظيرتها الأوربية هذه الأخيرة التي تمكنت من توجيه ضربات موجعة للأسطول الجزائري في مواجهات مختلفة مثل حملة الولايات المتحدة الأمريكية 1815م والإنجليزية 1816م...الخ

– هذه الظروف شجعت فرنسا إلى تنفيذ مخططاتها المتعلقة باحتلال الجزائر وذلك بالقيام بحملة عسكرية ضد الجزائر ، بعد أن فرضت عليها حصارا بحريا دام ثلاث سنوات زاد من مأساة الشعب الجزائري متخذة من حادثة المروحة حجة لها لتنفيذ عدوانها على الجزائر .

– لم تكن حادثة المروحة لتقنع أي عاقل بأنها سبب لقيام فرنسا بحملة مثل الحملة التي تكبدت فرنسا عنائها بغية تأديب الداي حسين ،بل إن فرنسا كانت مدفوعة بمصلحها العسكرية والاقتصادية والسياسية والدينية والإستراتيجية.

– كللت الحملة الفرنسية بالاستيلاء على مدينة الجزائر بعد التوقيع على معاهدة الاستسلام ولم تتمكن القوات الجزائرية من التصدي لها لضعف التخطيط وعدم وجود قيادة عسكرية رشيدة بعد إعدام يحي آغا وظهر ذلك جليا في معركة سطوا لي ا بالإضافة إلى الانقسام في الصف الجزائري والذي أدى إلى عودة المتطوعين من حيث جاؤوا .

– لم يحترم الفرنسيين معاهدة الاستسلام فمجرد دخولهم العاصمة عاثوا فيها فسادا ،تم نفي الداي حسين إلى إيطاليا وتم حل الجيش الإنكشاري ونقل أفراده إلى الأناضول من حيث جاؤوا في ذلة وانكسار

– دخول الجزائر في مرحلة جديدة من تاريخها تمثلت في مرحلة المقاومة والتي تزعمها رجال الطر ق الصوفية مثل الأمير عبد القادر وغيره .

الملحق

ملحق الجزائر

خريطة 1 :التحرشات الإسبانية لشمال إفريقيا في القرن السادس عشر

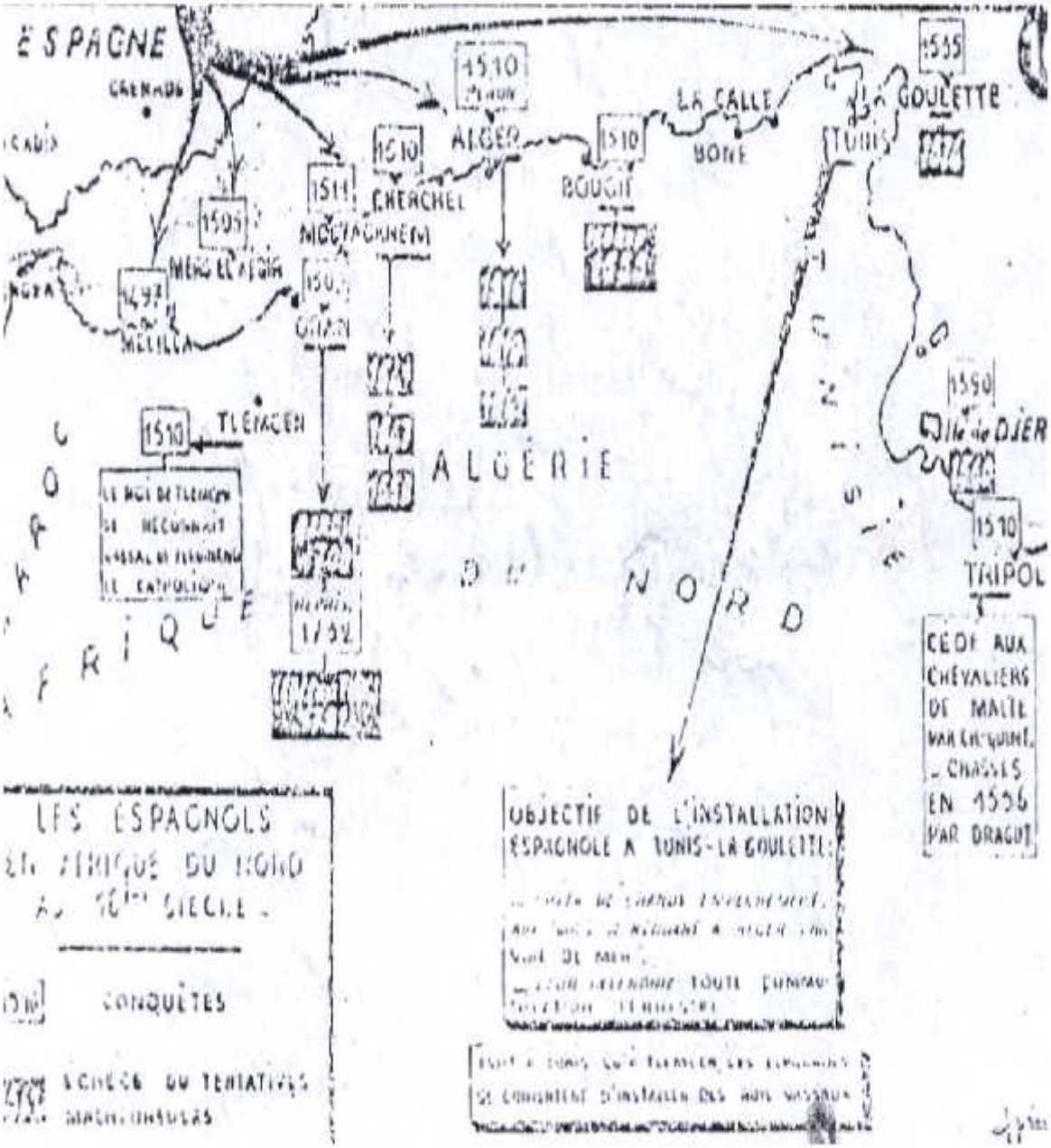

المصدر : عبد القادر حلمي : مدينة الجزائر قبل 1830

خريطة 2 :الجزائر العثمانية

المصدر : عبد القادر حلمي : مدينة الجزائر قبل 1830

خريطة 3 :طرق أهم الحملات الأوربية على الجزائر

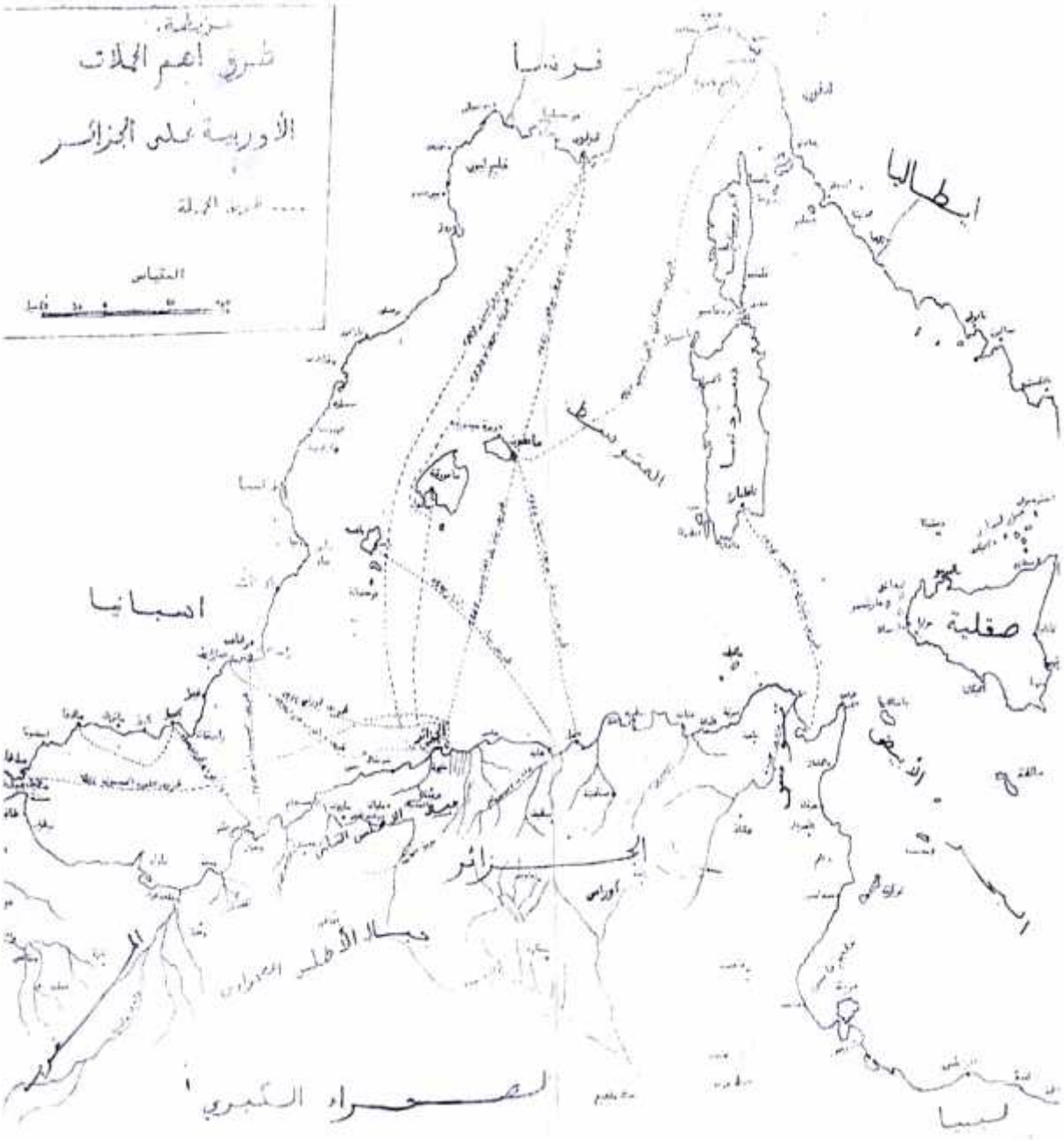

المصدر : عبد القادر حلمي : مدينة الجزائر قبل 1830

ملحق الصور

الفوتوغرافية

صورة1 : عروج

المصدر : عبد القادر حلمي : مدينة الجزائر قبل 1830

صورة2 : خير الدين

المصدر : عبد القادر حلمي : مدينة الجزائر قبل 1830

الصورة رقم : 03

Mahfoud Kaddache : l'Algérie des algériens, édition méditerranée, paris, 2003

الداي حسين... آخر دايات الجزائر

ملحق الوثائق

الوثيقة رقم1

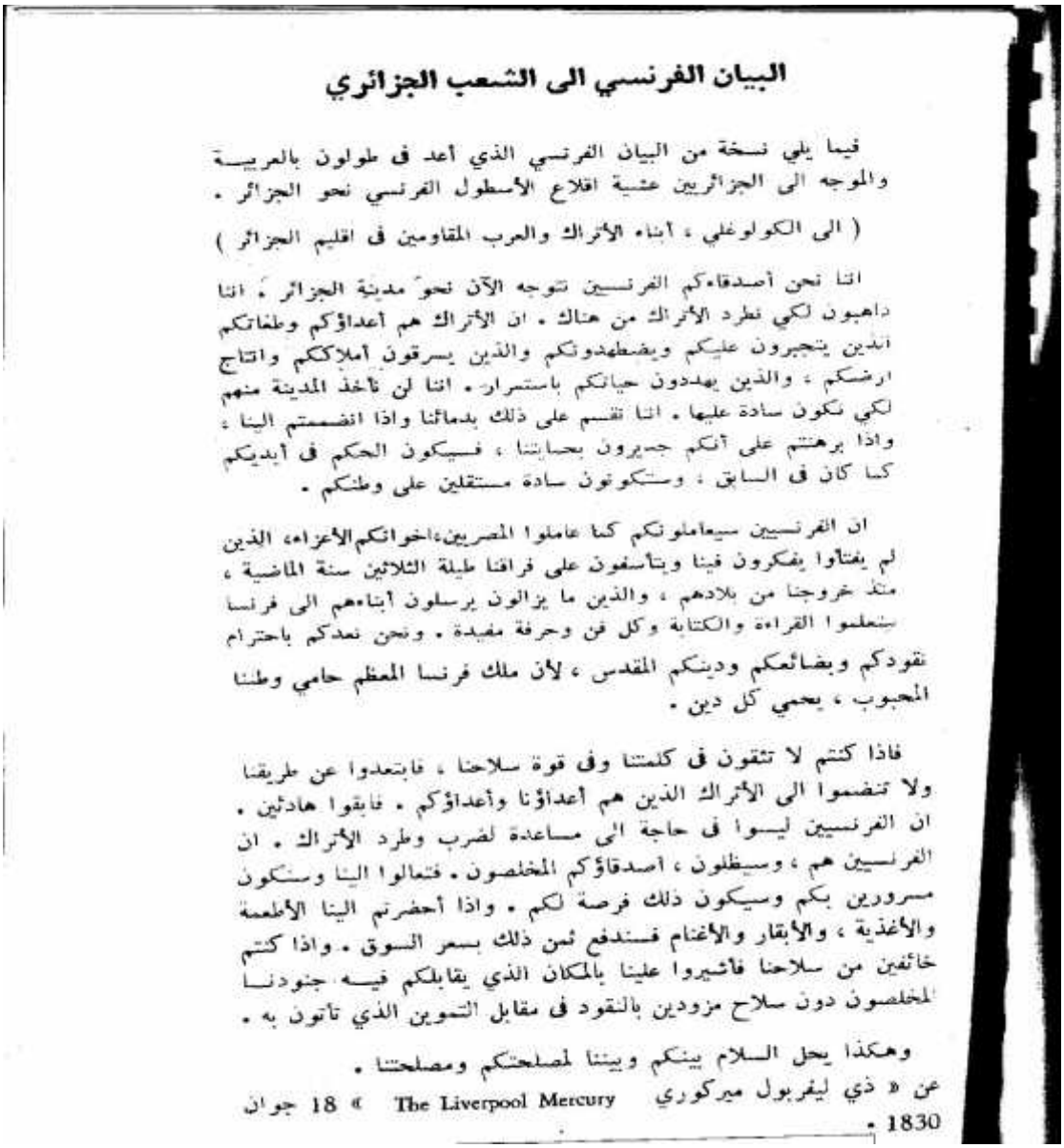

البيان الفرنسي الى الشعب الجزائري

فيما يلي نسخة من البيان الفرنسي الذي أعد في طولون بالعربية والموجه الى الجزائريين عشية اقلاع الأسطول الفرنسي نحو الجزائر .

(الى الكولوغلي ، أبناء الأتراك والعرب المقاومين في اقليم الجزائر)

اننا نحن أصدقاءكم الفرنسيين نتوجه الآن نحوَ مدينة الجزائر ، اننا ذاهبون لكي نطرد الأتراك من هناك . ان الأتراك هم أعداؤكم وطغاتكم الذين يتجبرون عليكم ويضطهدونكم والذين يسرقون أملاككم وانتاج ارضكم ، والذين يهددون حياتكم باستمرار . اننا لن نأخذ المدينة منهم لكي نكون سادة عليها . اننا نقسم على ذلك بدمائنا واذا انضممتم الينا ، واذا برهنتم على أنكم جديرون بحمايتنا ، فسيكون الحكم في أيديكم كما كان في السابق ، وستكونون سادة مستقلين على وطنكم .

ان الفرنسيين سيعاملونكم كما عاملوا المصريين،اخوانكم الأعزاء، الذين لم يفتأوا يفكرون فينا ويتأسفون على فراقنا طيلة الثلاثين سنة الماضية ، منذ خروجنا من بلادهم ، والذين ما يزالون يرسلون أبناءهم الى فرنسا ليتعلموا القراءة والكتابة وكل فن وحرفة مفيدة . ونحن نعدكم باحترام نقودكم وبضائعكم ودينكم المقدس ، لأن ملك فرنسا المعظم حامي وطننا المحبوب ، يحمي كل دين .

فاذا كنتم لا تثقون في كلمتنا وفي قوة سلاحنا ، فابتعدوا عن طريقنا ولا تنضموا الى الأتراك الذين هم أعداؤنا وأعداؤكم . فابقوا هادئين . ان الفرنسيين ليسوا في حاجة الى مساعدة لضرب وطرد الأتراك . ان الفرنسيين هم ، وسيظلون ، أصدقاؤكم المخلصون . فتعالوا الينا وستكون مسرورين بكم وسيكون ذلك فرصة لكم . واذا أحضرتم الينا الأطعمة والأغذية ، والأبقار والأغنام فستدفع ثمن ذلك بسعر السوق . واذا كنتم خائفين من سلاحنا فأشيروا علينا بالمكان الذي يقابلكم فيه جنودنا المخلصون دون سلاح مزودين بالنقود في مقابل التموين الذي تأتون به .

وهكذا يحل السلام بينكم وبيننا لمصلحتكم ومصلحتنا .

عن « ذي ليفربول ميركوري The Liverpool Mercury » 18 جوان 1830 .

وثيقة رقم2

معاهدة الاستسلام التي ابرمت يوم 5 جويلية 1830م بين الكونت دي بورمون ؛ القائد العام للجيش الفرنسي و الداي حسين:

1-يسلم حصن القصبة و جميع الحصون الأخرى التابعة للجزائر وكذلك ميناء هذه المدينة إلى الجيوش الفرنسية هذا الصباح على الساعة العاشرة (حسب توقيت فرنسا).

2- يتعهد قائد جنرالات الجيش الفرنسي بأنه يترك لسمو داي الجزائر حريته و كذلك جميع ثرواته الشخصية .

3- الداي حر في الإنسحاب مع أسرته و ثرواته الخاصة إلى المكان الذي يحدده، وسيكون هو و كل أفراد أسرته تحت حماية قائد جنرالات الجيش الفرنسي، وذلك طيلة المدة التي يبقاها في الجزائر، وستقوم فرقة من الحرس بالسهر على أمنه وأمن أسرته.

4- يضمن قائد الجنرالات نفس المزايا و نفس الحماية لجميع جنود الميليشيا.

5- تبقى ممارسة الديانة المحمدية حرة، كما أنه لم يقع أي إعتداء على حرية السكان من جميع الطبقات وعلى دينهم وأملاكهم وتجارتهم و صناعتهم، ونساؤهم سيحترمن .

إن قائد الجنرالات يتعهد بشرفه على تنفيذ كل ذلك، وإن تبادل هذه الإتفاقية سيتم قبل الساعة العاشرة من هذا الصباح، وبعد ذلك مباشرة تدخل الجيوش الفرنسية إلى القصبة ثم إلى جميع حصون المدينة البرية و البحرية.

في المعسكر المخيم أمام الجزائر، يوم 5 جويلية سنة ثلاثين و ثمانمائة و ألف.

إمضاء : الكونت دوبرمون.

خاتم حسين باشا: داي الجزائر.

- جدان بن عثمان خوجة : المرآة، (هذه تاريخ مواضي الجزائر)، تقديم و تعليق محمد العربي الزبيري، ص ص 203-204.
وكذلك إجمال قناد، معاهدات الجزائر مع فرنسا، ص ص 349-350.م
- أبو القاسم سعد الله : محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)،ص46.

البيبليو غرافيا

قائمة البيبليوغرافيا :

I. المصادر:

أ / باللغة العربية:

1. المزراتي الآغا بن عودة ا: طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و غسبانيا و فرنسا إلى أواخر ق 19م ، تحقيق و دراسة : يحي بوعزيز ، دار البصائر للنشر و التوزيع ، حسين داي ، الجزائر

2. الزهار محمد الشريف: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر ، تحقيق : أحمد توفيق المدني ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1980م

3. الزياني محمد بن يوسف : دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران ، تقديم وتعليق : المهدي البوعبدلي ، الشركة،الاسكندرية ،1903م

4. أوروين راي : العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب و الولايات المتحدة الأمريكية (1776 – 1816م) ، ترجمة : إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1978م ،

5. ألتر عزيز سامح: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، ترجمة : علي عامر ، ط1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1919م ،

6. كورين شوفاليه: الثلاثون سنة الأولى لقيام مدينة الجزائر (1510 – 1530م) ، ترجمة :جمال حمادنة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007م

7. نايت بلقاسم مولود قاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830م,ج1,ط1, دار البعث للنشر والطباعة , قسنطينة,1985

8. مجهول : غزوات خير الدين وعروج ، تصحيح وتعليق : نور الدين عبد القادر ، مكتبة رودسي بن قدور ، الجزائر ، 1934.

9. ميمون محمد: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في البلاد الجزائرية المحمية ، تقديم وتحقيق : محمد بن عبد الكريم ، ط1 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1972م ،

10. خوجة حمدان بن عثمان: المرآة (لمحة تاريخية وإحصائية عن إيالة الجزائر) ، تعريب : محمد العربي الزبيري ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982م

11. سبنسر وليام : الجزائر في عهد رياس البحر ، تعريب وتعليق : عبد القادر زبادنة ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر.
12. عبد القادر محمد بن الأمير: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر ، شرح وتعليق : محمود حقي ، ج1 ، ط 1 ، المطبعة التجارية عزوزي وجاويش .
13. وليا م شالر:مدكرات قنصل أمريكا في الجزائر(1816-1824م)،تعريب وتعليق إسماعيل العربي،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،.1982
14. ألبريد يفو : الريس حميدو ، ترجمة : العربي الزبيري ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ، 1972
15. لاكوست نويشي وبريبان : الجزائر بين الماضي والحاضر،تعريب رابح اسطنبولي وآخرين،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1984

ب/ باللغة الأجنبية:

1-CHARLS ENDRI JULIEN: C'histoire de l'algerie, paris, 1964.

2- Diego Haëdo : histoire des rois d'Alger , traduit par : Henri Delmas , Alger , 2004 , p p 28 , 29 .

3-CHAW:Voyage dans la régence d Alger , tard par : J- Maccarty 2eme édition ,Boussalama , Tunis, 1990.

Grammant : histoire d'Alger sous la domination turque (1515--1830) , paris , 1887

II. المراجع:

أ / باللغة العربية:

1. التميمي عبد الجليل : بحوث ووثائق في التاريخ المغاربي (1816 – 1817م) ، ط1 ، الدار التونسية للنشر و التوزيع ، تونس ، 1، 1992م.
2. العسلي بسام : المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي ، ط1 ، دار النفائس ، بيروت ، 1980م .
3.المدني أحمد توفيق: كتاب الجزائر، ط 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984م .
4. السليماني أحمد: تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1989م.
5. الزبيري محمد العربي:« مقاومة الجزائر للكتل الأوربية قبل الاحتلال » ، مجلة الأصالة ، ع 12 ، الجزائر ، 1973 م.

6. المدني أحمد توفيق : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792م), ط2, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , الجزائر ,1976م.
7. السليماني أحمد:النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني،مطبعة دحلب،الجزائر1993م.
8. الجيلاني عبد الرحمن بن محمد ، ج3 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1989م.
9. بوعزيز يحي : علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا (1500 – 1830م) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1980 م .
10. بوحوش عمار : التاريخ السياسي للجزائر من البداية وإلى غاية 1962،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت (لبنان)،1997م.
11. بن أشنهوا عبد الحميد : دخول الأتراك العثمانيون إلى الجزائر , المطبعة الشعبية , الجزائر, (د.ت).
12. محمد زروال : العلاقات الفرنسية الجزائرية (1790 – 1836 م) ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر ، 1980م .
13. محمد داده : « لمحات عن يهود الجزائر » ع 21 – 22 مارس و جوان ، معهد التاريخ ، جامعة الجزائر.
14. حلمي علي عبد القادر: مدي نشأتها وتطورها قبل 1830م ، ط1 ، دار الفكر الإسلامي ، الجزائر ، 1972م.
15. سعد الله أبو القاسم: محاضرات في تاريخ الجزائر، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.
16. سعد الله أبو القاسم: محاضرات في تاريخ الجزائر (بداية الاحتلال)، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1982م.
17 سعد الله أبوا القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري (16 – 20م) ، ج2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985م.
18. سعيدوني ناصر الدين ، المهدي البوعبدلي:الجزائر في مرآة التاريخ(العهد العثماني)،ج4،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984م.
19. سعيدوني ناصر الدين: دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984م.
20. سعيدوني ناصر الدين: موظفو الدولة الجزائرية خلال ق 19 م ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985م.

21. فركوس صالح : المختصر قي تاريخ الجزائر من عهد الفينيقين إلى خروج الاستعمار الفرنسي(814 ق م ،1962م)،دار العلوم للنشر والتوزيع،2003م.
22.فركوس صالح :المختصر في تاريخ الجزائر ،دار العلوم للنشر ،عنابة،2003،م.
23. شريط عبد الله , محمد الميلي : الجزائر في مرآة التاريخ , ط1, مكتبة البعث , قسنطينة , 1965م.
24. عباد صالح: الجزائر خلال العهد التركي (1514-1830م) , دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع , الجزائر ,2005م.
25. قنان جمال: دراسات في مقاومة الاستعمار ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر،1988م.
26. قنان جمال: معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619 – 1830م) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1987 م.
27.جمال قنان:قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ،منشورات المتحف الوطني للمجاهد،ط2،الجزائر العاصمة ،1998م.
28.جلال يحي: المغرب الكبير العصور الحديثة، ج3، دار النهضة للطباعة، بيروت، 1981م.
29. محمود عامر:تاريخ الجزائر المعاصر،دمشق ،1997م.

III. المجلات

1. العربي الغالي :« الحياة السياسية في نيابة الجزائر إبان عصر الدايات ، ثورة ابن الشريف الدرقاوي ضد الأتراك في مطلع ق 19م »، مجلة الدراسات التاريخية ، ع 23 – 24 ، التاريخ ، جامعة الجزائر ، سبتمبر ، ديسمبر 1986م.
2. بوعزيز يحي:« طرق القوافل و الأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوربيون خلال القرن التاسع عشر » ، مجلة الثقافة ، ع 59 ، من سبتمبر إلى أكتوبر ، الجزائر.
3. بلحمسي مولاي « الثورة على الأتراك في الجزائر شواهد منتقاة من وثائق إسبانية لم تنشر »، مجلة الثقافة ، ع 84 ، ديسمبر ، الجزائر 1978 م.
4. سعيدوني ناصر الدين « الأحوال الصحية و الوضع الديمغرافي في الجزائر أثناء العهد التركي » ، مجلة الثقافة ، ع 92 ، من مارس إلى أفريل ، الجزائر.
5. قنان جمال:« عنصر الأزمة الجزائري الفرنسية عام 1827م » ، مجلة التاريخ، ع خاص، الجزائر، 1984م.

واجهة فهرس

المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة .

الفصل التمهيدي : .....ص : 4.

الفصل الأول : الأوضاع الداخلية للجزائر (1800 – 1830م).

الأوضاع السياسية: .....ص : 15.

الأوضاع الاقتصادية: .....ص : 26.

الأوضاع الاجتماعية : .....ص : 31.

الأوضاع العسكرية :.....ص : 35.

الفصل الثاني : التحرش الأجنبي.

الصراع الانجليزي الفرنسي و أثره على الجزائر : ..... ص : 38.

حملة الولايات المتحدة الأمريكية على الجزائر 1815م: .....ص : 42.

الحملة الانجليزية الهولندية على الجزائر 1816م : .....ص : 44.

حملة الانجليز على الجزائر 1824 م : .....ص : 47.

الفصل الثالث : الحملة الفرنسية على الجزائر .

المشاريع الفرنسية لاحتلال الجزائر : .....ص : 55.

الحصار الفرنسي للجزائر : .....ص : 59.

مسار الحملة الفرنسية و نتائجها : .....ص : 63.

خاتمة :.....ص : 72

الملاحق .

ملحق الخرائط: .....ص :77.

ملحق الصور الفوتوغرافية:.....ص : 81.

ملحق الوثائق :.....ص : 85

قائمة البيبليوغرافيا: .....ص : 88.